طفل القرن الحادى والعشرين

(ذكاء ... موهبة ... معرفة ... جمال)

بقلم

السيد نجم

الطبعة الأولى

٢٠٠٤م

الناشر

دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر

تليفاكس : ٥٢٧٤٤٣٨- الإسكندرية

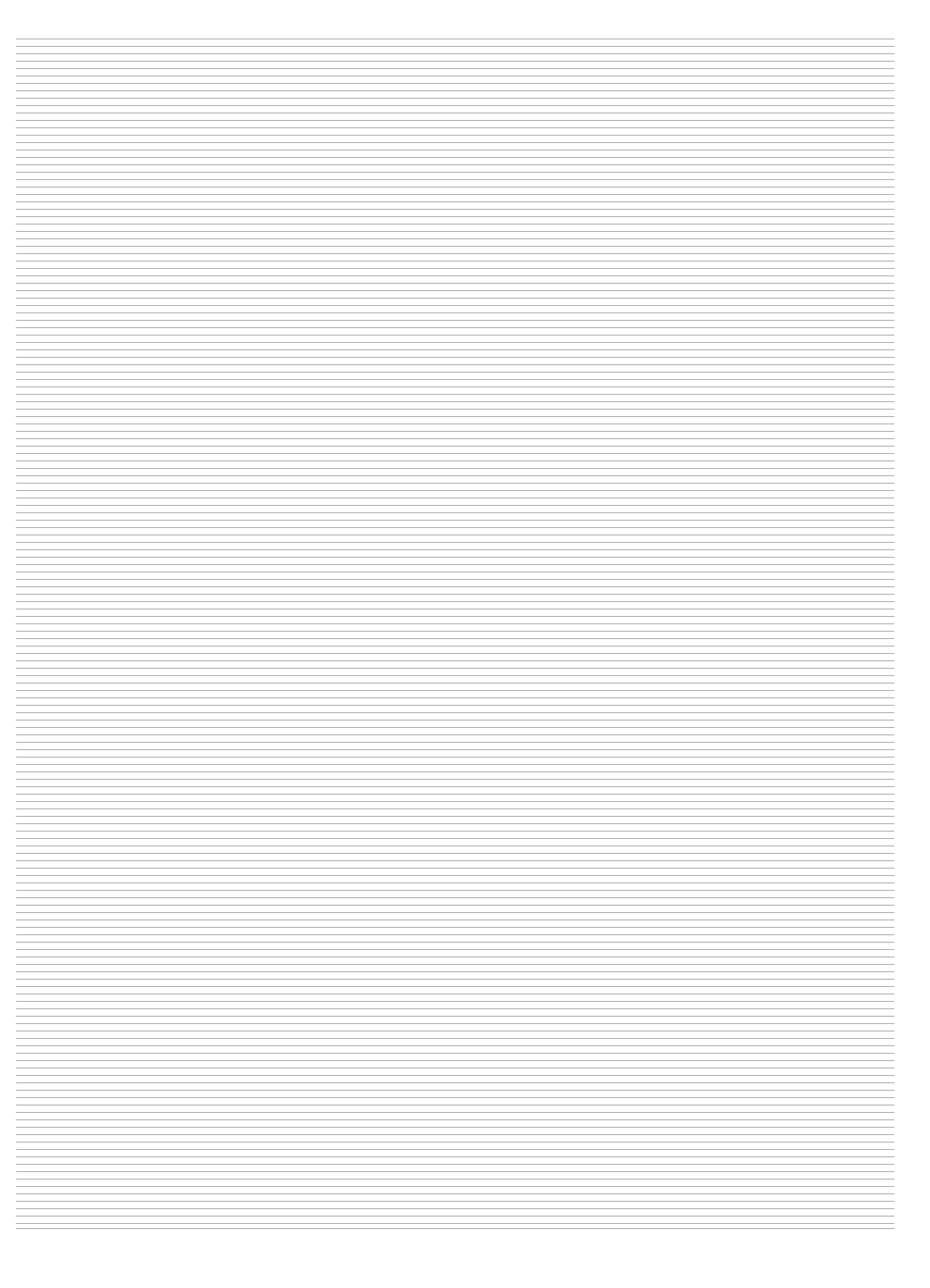
إهـــداء

إلى كل أب وكل أم وطفل ذكى

ثــــــم

إلـــى "مى" و"بسمة"

وأمهما "د. عزة خفاجى"



مدخـــل :

يعتبر القرن العشرين بمثابة الحلقة الوسطى من التـاريخ الحضارى للإنسان، منذ خمسة آلاف سنة كـانت نهاية مرحلة وبدايـة مرحلـة (حضاريـة) جديـدة .. حيـث عرف الإنسان ضرورة الاستقرار على ضفاف الأنهار وعرف الزراعة وما استتبعها من تغييرات جوهرية فى الحياة اليومية والاجتماعية للإنسان. وكان كل ما نـراه الآن من آثار كشواهد ومن ممارسات يومية وحياتيـة معيشية، حتى كـان القرن العشرين بكل معطياته (الجوهرية) علمية / صناعية / زراعية - ثم والهام هنا - وفكرية أيضًا، هو نهاية تلك المرحلة الوسطى والتمهيد إلى مرحلة أعلى وعلى أطفالنا أن تعيشها مع بدايات القرن الواحد والعشرين وبداية مرحلة حضارية جديدة أو ما أطلـق عليها مصطلح ما بعد الحضارة .

مع ذلك لم تكن تلك المنجزات المعرفية إلا إرثًا وتيارًا قديمًا منذ أن عرف أهل بابل علـوم الفلك، وعرف الإغريق الهندسـة، وعرف العرب الجبر، وغيرها من العلوم التى مهدت إلى التحول التكنولوجى الآن والمنتظر أن يكون أكثر تعقيدًا فى القرن الجديد.

ومظاهر تغير الأنماط السلوكية الإنتاجية للإنسان خلال القرون الماضية تشير إلى أن أكثر من ٧٥٪ من سكان المجتمعات القديمة (على مستوى العالم) كـانت تعمل لإنتاج الاحتياجات الغذائيـة، حتى الولايـات المتحدة الأمريكية أثناء الثورة الأمريكية كانت التقديرات تشير إلى حوالى ٩٠٪ من السكان يعملون بالزراعة لإنتاج الاحتياج الغذائى بينما الآن يعمل ١٠٪ من مجمل السكان بالزراعة ويتوقع فى القرن الحالى ٥٪ فقط.

وعن الجانب المعرفى يكفى أن نشير إلى أن مرحلة الحضارة المشار إليها اتسمت ببعض الظواهر الهامة منها : نزول الديانـات السـماوية ، انتشار العلم والتفكير العلمى مع رسوخ أفكار الابتكار الاجتماعى المتمثل فى فكرة المصافحة (مثلاً) دليلاً

على التحية ومن الإشارات الاجتماعية التي أكسبت الإنسان صفته الإنسانية. ثم ابتكار الأيديولوجيات السياسية والاقتصادية الاجتماعية. مع معطيات الفنون المختلفة لمختلف بلدان العالم تقريبًا.

إلا أن بشائر مرحلة ما بعد الحضارة تشير إلى الكثير من التغييرات المتوقعة .. ولأن الطفل هو هدف هذه القراءة، لنا أن نشير إلى تلك المجتمعات التي انتبهت قبل عالمنا العربي، حيث بدأت تلقن أطفالها وتضع خطاهم على الطريق. قرأت في كتاب "مغزى القرن العشرين ونقاط التحول العظمى" للكاتب "كنيث أ. بولدنج" وترجمة "عبد الحميد فهمي الجمال"، في الصفحة الثامنة يقول الكاتب :

"ومنذ أيام سألني ابني البالغ من العمر ٨ سنوات : "يا والدي، هل أنت قد ولدت في الأزمنة القديمة "؟؟".

هكذا ، يجب أن نتوقف طويلاً أمام تلك الجملة المتسائلة من طفل في الثامنة من عمره، أليست مؤشرًا على التفتح وانطلاق الذهن والوعي بكل ما يدور حول رأسه ؟!

وعلى الجانب الآخر إن الواقع المحيط بالطفل زاخر بما جعله يلمس ويرى تلك المتغيرات التي جعلته يتساءل عن الأزمنة القديمة التي جاء منها الأب (الكاتب/ متوسط العمر) .. إذن فنحن أمام أب (متوسط العمر) .. ابن (في الثامنة من عمره) .. معًا حيال مجتمع بدأت تتغير فيه الملامح.

والسؤال الواجب الآن : أين نحن وكيف نخطو مع طفلنا الخطوة الأولى الواجبة؟

*****

تمهـيد :

.. قال "عبد الرحمن الجبرتي" في كتابه "عجائب الآثـار فـي التراجم والأخبار" في حديثه عن حوادث سنة ١٢١٣هـ إبان الحملة الفرنسية على مصر. أثناء حديثه عن تلك الأبنية والأبراج التي شيدها الفرنسيين (في تل العقارب بالقاهرة) وأقام فيها أهل العلم والمعرفة والفلكيين وغيرهم .. حيث يصف إحدى زيارات المصريين لهم بالمبنى :

> ".. ومن أغرب ما رأيته في ذلك المكان أن بعضهم قد أخـذ زجاجـة مـن الزجاجـات الموضـوع فيـها بعـض الميـاه المستخرجة، فصب منها شيئا في كأس، ثم صـب عليـها مـن زجاجة أخرى، فعلا الماء وصعد منه دخان ملون حتى انقطع وجف مـا فـي الكـأس وصـار حجـرًا أصفر .. أخذنـاه بأيدينـا ونظرناه، ثم فعـل كذلـك بميـاه أخـرى فجمـد حجـرًا أزرق، وبأخرى فجمد حجرًا ياقوتيًا، وأخذ مرة شيئا قليلاً جدًا من غبار أبيض ووضعه على السندال وضربه بالمطرقة بلطف، فخرج له صوت هائل كصوت القرابانة، انزعجنا منه فضحكوا منا ..".

إذا كانت الواقعة التي يتناولها بـالوصف المـؤرخ المصري (الجبرتي) تشير إلى لحظة تاريخية فارقة في تاريخ المنطقة كلها فكريًا وحضاريًا، حيث قدمت الحملة الفرنسية بقيادة نابليون بجنوده المدججين بالسلاح الأكثر تقدمًا من تلك التي يستخدمها المصريين، وبعلمائه أيضًا والمدججـين بعلـم فـيزيقي جديـد لم تعـهده المنطقة العربية كلها من قبل .. فكانت الصدمة التي عبر عنـها المـؤرخ بتلك الصورة الدهشة (الفكهة) ..

إذا كان الأمـر كذلـك في بدايات العصر الحديـث، فإننا الآن في بدايات القرن الواحد والعشرين، وبعد انقضاء أكثر من قرنين من الواقعة السابقة، فإننا مازلنا

نعيش الصدمة الحضارية التي أدهشتنا في السابق إلا أننا الآن أكثر وعيًا وتسلحًا بالأفق الفكرى العريض القادر على استيعاب ما سبق وتوقع القادم والإعداد له.

.. ربما أهم ما يمكن الإشارة إليه هنا أن تلك التقنيات الجديدة والمتقدمة التي ...لتنا في أواخر القرن العشرين (أعني التكنولوجيا الجديدة). سوف تكون أكثر تحديدًا وشمولاً في القرن الجديد، ولا يبقى إلا أن نسأل أنفسنا : كيف سنتعامل ونواجه معطيات القرن الجديد ؟

ننتقل فورًا إلى السؤال: كيف نهئ طفلنا العربي القادم لهذا القرن الجديد؟؟ في البداية يلزم القول بأن التقدم العلمي الهائل الذي مس القرن العشرين كانت له إيجابيات في مجالات الطب والزراعة والتصنيع وغيرها.. فاكتشاف المضادات الحيوية أنقذ البشرية من تلك الأوبئة الجماعية التي عاشها العالم في أوائل نفس القرن وهكذا في كل المجالات، فكانت مشاكل جديدة منها زيادة السكان بالنسبة للعالم الثالث، وأصبح السؤال : هل يمكن للدول النامية أن تستفيد من التقدم العلمي لتنظيم النسل أيضًا؟

وعلى الجانب الآخر، فإن الدول المتقدمة أفرزت الثورة التكنولوجية نتيجة تطور تلقائي وطبيعي للمجتمع، أي اتساق بين الحياة الفكرية والقيم السائدة وأسلوب الحياة وسلوك الأفراد. بحيث يكون التقدم التكنولوجي في سياق متوافق مع العلاقات الاجتماعية. لكن في الدول النامية فإن الأخذ بأساليب الثورة التكنولوجية دون الأخذ بما تحتاجه من القيم الاجتماعية. مثلا السلوك الفردى في حاجة إلى وقفه من حيث أنه الفرد المنتج والفرد المستهلك. فمجموعة القيم المتعلقة بالإنتاج تتصل بالانضباط والانتظام والدقة والصبر والأمانة .. وغيرها. ومع التقدم الإنتاجي، يزيد الاستهلاك وتنتج مشاكل الفرد الاستهلاكي الذى هو في حاجة إلى قيم جديدة أيضًا!!

.. والآن ترى، هل قدمنا للكتاب ومهدنا حقيقة لموضوعه : "طفل القرن الحادي والعشرين" .. ماذا نكتب له؟ .. أم ترانا زدنا القضية تعقيدًا، فباتت المشكلة محل السؤال عدد لا ينتهي من المشكلات الفرعية الواجب الإجابة عليها وحلها!!

لا أدعي حلا سحريا سهلا في سن القلم سوف يخطه حالا، لكنني أدعي بضرورة التمسك بعدد من المفاهيم والقيم في مقابل إمكانية فتح الباب لإضافة المزيد أمام كل محاولة صادقة وجادة في تناول هذه القضية:

-التمسك بالقيم العليا التي لا خلاف حولها وأكيدة، والتي ترسخها المفاهيم الدينية والإيمان بالبديهيات التي تطرحها مثل الألوهية والتوحيد.

-إزكاء التفكير العلمي مع الحرص على تلقين وتدريب الطفل عليه. لعل أهم سمات هذا النمط من التفكير (كما أبرزها د. فؤاد زكريا في كتابه التفكير العلمي) :

التراكمية ، فالمعرفة العلمية أشبه بالبناء يشيد طابقًا فوق طابق، كلما شيد طابق أصبح أساسًا لطابق جديد وهكذا.

التنظيم ، إذا كان العقل يعمل بلا انقطاع أقرب إلى التلقائية والعفوية ، إلا أن التفكير العلمي لا نترك فيه الأفكار تسير طليقة، وإنما نرتبها بطريقة محددة، وننظمها عن وعي.

المنهجية . لعل البناء الفكري في مجال البحث العلمي استقر على منهج ليس الوحيد وقابل للإضافة (مستقبلا)، وهذا النهج في الخطوات التالية ..

١- مرحلة ملاحظة منظمة للظواهر التي يراد بحثها .

٢- تغير مفهوم "الملاحظة" من المتابعة المباشرة إلى عملية شديدة التعقيد (كاعتماد الطبيب على حواسه في متابعة مريضه في بداية التقدم العلمي، والآن عملية معقدة تتم قبل الجلوس إلى الطبيب مثل التحليلات وغيرها).

٣- مرحلة التجريب .. والخروج ببعض القوانين الجزئيـة .. والتـي لا ترقى إلى النظرية.

٤- مرحلة ضم القوانين الجزئية إلى بعضها واستخلاص نظرية عامة ما.

٥- اعتبار النظرية نقطة ارتكاز أو مقدمة أولى للاستنباط العقلى بأساليب منطقية ورياضية، ثم قد يقوم بإجراء التجارب عليـها مـن جديـد وبرؤية جديدة.

البحث عـن الأسباب ، فلا يكـون النشاط العقلـى علمـا إلا إذا استهدف البحث عن العلل والأسباب وهو بذلك (أى الإنسان) يرضى فضوله بتعليل كـل شىء من حوله، وهذه المعرفة العلية هى التى تقـود الإنسـان إلى الجوانب العملية أو التطبيقيـة النافعـة .. (دراسـة الموجـات الصوتيـة أنتجت التليفون والبيك آب).

الشمولية واليقين ، إن المعرفة العلميـة الحقة هـى معرفة شاملة أى تسرى على كل أمثلة الظاهرة الخاضعة للبحث العلمـى . ومـن ثمة يجب أن تخـرج الحقيقة العلميـة مـن الفرد البـاحث إلى الجماعة .. وهنـا يطلق عليـها صفة اليقين (غير اليقين الفردى القائم على المشاعر النفسية للفرد دون غيره فى المجتمعات).

الدقـة والتجريد ، إذا كانت لغة الحديث اليومـى تتسـم بـالغموض وعـدم الكشـف الدقيـق ، إلا أن لغـة العلـم لا تقبـل إلا الدقـة. فكـان اسـتخدام لغـة الرياضيات وبالتالى ارتبطت صفة التجريد مع الدقة .. وحتى استخدام اللغة الحياتية فلابد أن تكون الكلمات محددة والجملة موصلة للمعنى دون لبس أو اضطراب.

بتلقين الطفل تلك العناصر الستة، فرادى ومجمعة، يمكن إزكاء التفكير العلمى، وما أحوجه وأحوجنا إليه فى القرن الجديد.

-بث قيم : الحب والخير والجمال ، فليس من فائض القول الدعوة إلى بث تلك القيم في نفوس النشء .. ليس بسبب أهميتها فى ذاتها فى كل زمان ومكان، ولكن لأهميتها الخاصة فى قرن يعبر عن حصيلة ثورات جديدة وعديدة فى المعلومات والاتصالات ووسائل الإنتاج. وقد تتوارى الحدود السياسية خلف شبكات التليفزيون الفضائية بل وشبكات الإنترنت، وعن طريقها لا يتم فقط تداول المعلومات والمراسلات، بل وقد أصبحت سوقا لعقد الصفقات التجارية بين المستثمرين مما قد يؤثر على مفاهيم استقرت كثيرا فى القرن العشرين فى مجال التعاقد والتبادل التجارى بين الدول .. مع غلبة الثروة المالية على الثروة التجارية (من أسهم وسندات وأوراق مالية). فقد بدأ تداولها عبر الشاشات ولا يتم تداول العملات الأصلية.

وأزمة الدول النامية فعلا أن الثورة التكنولوجية تلك لم تكن وليدة طبيعية لتطور إبداعى مثلما الحال فى الدول المتقدمة، وأصبحت التكنولوجيا ثورة مستوردة مما قد يؤدى إلى قهر الإبداع فى تلك الشعوب (وهو ما سنبرز أهميته فيما بعد).

الطريف والهام هنا، هو ما قاله البعض من أن وسائل التقدم العصرى على الرغم من أنها وسائل من أجل المزيد من المعلومات والمعرفة والتعرف على العالم والآخر، إلا أنها فى الحقيقة تساعد على المزيد من مشاعر العزلة والفردية، بالبقاء إلى حوار الجهاز والاكتفاء به.. فلا يذهب إلى السينما أو المسرح (مثلا) ما دام قادرا على رؤيته بالفيديو وحده مرتاحا داخل منزله، وبعيدا عن التجاوب الجماعى والمشاعر الحمعية الحميمة .. وهكذا. وأهمية قيم الحب والخير والجمال أنها قادرة على دفع

الفرد إلى معترك الجماعة مسلحًا بأسلحة لا تجدى إلا بالآخر المحب لنفس القيم، وإلا فقد الربان وجهته!!

.. أمام تلك المقولات (القابلة للإضافة ولا أظن للحذف). يمكن الاقتراب عمليا من عالم الطفل بالذات الطفل الجديد ليتهيأ لاستقبال القرن الواحد والعشرين، بأن نسعى بتنمية ملكتين (عمليا)، وهما : الإبداع والخيال .. وهذا ما سوف نتناوله في الصفحات التالية.

*****

الباب الأول

ما النمو فى الكائن البشرى ؟

اللعب والطفل

-الأطفال يلعبون بدوافع داخلية ..

-أمور يجب أن يراعيها أولياء الأمور ..

-ملامح ابتكارية هامة فى عمر الطفل .

-علاقة الطفل بالكتاب (كوسيلة معرفية باللعب).

-علاقة الطفل ببعض النشاطات (الألعاب) الأخرى مثل الموسيقى وغيرها.

الطفل .. مخلوق مفكر (مجالات فكر الطفل)

-مجال الزمن والفضاء .

-مجال الأنا والمجتمع .

-الحياة والموت .

-مجال الكون والله .

الذكاء العام والقدرات العقلية

-تعريفات الذكاء (الاتجاه اللغوى - الاتجاه الفلسفى - الاتجاه البيولوجى - الاتجاه الفسيولوجى)

-نماذج معرفية هامة (التعلم / التذكر / التفكير)

-أنواع وأشكال الذاكرة (وهى ذاكرة الأشكال والرموز والمعانى .. إلخ)

-أنواع التفكير (التفكير التقاربى - التفكير التباعدى - التفكير الاستدلالى - التفكير الحدسى - التفكير الارتباطى المقيد والحر)

-أنماط التفكير (التفكير الناقد - التفكير الابتكارى)

الفروق الفردية والتلقى (العوامل المؤثرة فى النشاط العقلى)

-الوراثة.

-البيئة.

-عوامل متنوعة (دور المخ / التغييرات الكيمائية / التغذية .. إلخ)

-الفروق بين الجماعات (الفروق بين الجنسين/ الفروق بين السلالات البشرية)

-الفروق داخل الفرد الواحد.

الباب الأول .. الطفل كائن ينمو

"ما النمو فى الكائن البشرى؟"

أما وقد أصبحت النطفة علقة (باتحاد الخلية الذكرية بأخرى أنثوية)، وأصبحت العلقة جنينا (بعد ثمانية أسابيع من الحمل حتى إذا حل الأسبوع العشرون من الحمل صار الوليد مالكا لملايين الخلايا العصبية التى تتحكم فى سلوكه. وكل وليد (ذكرا أو أنثى) يولد ومعه قوته وطاقاته للنمو فضلا عن معطيات البيئة التى تلعب دورا معاونا أو على النقيض (معوقا للنمو).

وإن كانت البنت أسرع نضجًا من الولد، إلا أن كليهما يمران بالمراحل التالية:

مرحلة الجنين قبل التشكيل	.. من صفر حتى ٨ أسابيع.
مرحلة الجنين بعد التشكيل	.. من ٨ حتى ٤٠ أسبوعًا.
مرحلة الحضانة	.. من الميلاد إلى سنتين.
سن ما قبل المدرسة	.. من ٢ حتى ٥ سنوات .
الطفولة	.. من ٥ حتى ١٢ سنة .
المراهقة	.. من ١٢ حتى ٢٠ سنة .

(هذا التقسيم وضعه د. أرنولد جزل وآخرون)

ترى كيف ينمو عقل الطفل ؟

إن شبكة العلاقات بين العقل والجسد (أو بين الروح والجسد) معقدة، إلا أنه من الصعوبة الفصل بين العقل وكل الجهاز العضوى للطفل، فالعقل فى نموه جزء

من تلك الشبكة من الأنسجة. والحقيقة فإننا لا يعنينا تركيبه بقدر اهتمامنا بالسلوك الخارجي.

إن شخصية الطفل إنما ثمرة لنمو تدريجي والجهاز العصبي للطفل ينضج على مراحل : فالطفل يجلس قبل أن يقف. يناغي قبل أن يتكلم. يقول "لا" قبل الموافقة. يختلق قبل أن يقول الصدق. يرسم الدائرة قبل المربع. وهو أناني محب لذاته، يعتمد على الآخرين.

الهام هنا هو رعاية الطفل من الناحية السلوكية ليس على شكل قوالب جاهزة وإنما تكون المساعدة بالتوجيه خطوة فخطوة أثناء رحلة نموه في الاتجاه المرغوب.

إشارات سريعة إلى ملامح السلوك منذ الحضين ..

.. حديث الولادة، طوال الأربعة أسابيع الأولى بعد الولادة يكافح الوليد للمواءمة بين وظائف الأعضاء في جسمه مع البيئة الخارجية. وهو في ذلك يتعرض للعطش والبكاء غير المبرر مع النوم واليقظة في غير انتظام. وقد تتعرض درجة حرارة جسده للاضطراب.

.. سن ٤ أسابيع، وفيها تبدأ الأفعال الانعكاسية والاستجابات في الظهور، وفي تلك الفترة تبدو علامات السلوك هي في الحقيقة البداية .. للكلام، الإدراك، الذكاء، الحركة .. إلخ.

.. سن ١٦ أسبوعا، لقد أصبح الجهاز العصبي جاهزا للجلوس بدلا من الرقاد. وبالتالي أن تشخص العينين إلى الأمام. مع زيادة ردود الأفعال السلوكية مع الآخرين. وتصبح عينيه محور اكتشافه للعالم وانفعالات الرضا مع الآخرين.

.. سن ٢٨ أسبوعًا، وهي مرحلة اكتشاف العالم باليدين (بعد مرحلة اكتشاف العالم بالبصر) وإن تولدت بعض المشاكل المتصلة بالحركة والتنقل وتناول الأشياء باليدين.

.. سن ٤٠ أسبوعا، وهى ومرحلة القدرة على التفريق بين المألوفين والغرباء عنه. كما أنه يبدأ فى تقليد الحركات، مع بدايات القدرة على نطق بعض الحروف أو غمغمة الأصوات.

.. سن ١٢ شهرا، وفيه يستمتع الطفل بألعابه، ويميل إلى التقليد وتجميع ألعابه، مع نمو الإدراك العاطفى وقراءة مشاعر الآخرين.

.. سن ١٥ شهرا ، وهى فترة الحركة العشوائية أو اكتشاف العالم من حوله بلا تفرقة، وكذلك قذف الأشياء من حوله.

.. سن ١٨ شهرا، وفيها يستوعب بعض الأوامر وينطق بعض الكلمات والجمل المكونة من كلمتين .

سن السنتين : وهى فترة حب التملك ورفض مشاطرة الآخرين، كما يستوعب الإطراء وكذلك اللوم.

.. سن سنتان ونصف السنة ، إنه طفل مندفع ومستبد ومتناقض ومتردد ومتحدى وملتزم لما درج عليه من قبل .

.. سن ثلاث سنوات : طفل الثلاث سنوات يملك زمام أمره، وهو أقل انطواء مع علاقة متنامية مع الآخرين من حوله. كما أنه سريع الجرى وقت اللزوم، يعبث بالقلم فيرسم خطا أفقيا وآخر رأسيا.

سن أربع سنوات : يتميز طفل الرابعة بالنشاط الخيالى، واللعب التمثيلى (تلبس الشخصيات)، مع مرحلة أكثر تقدما فى تعبيراته بل يبدو أحيانًا ثرثارًا يذكر عيوب الآخرين.

المرحلة التالية . تبدو وكأنها مرحلة جديدة فى شخصية الطفل، تتسم بالتغييرات السريعة والنمو المتصاعد. وبمعدلات متلاحقة، فتبدو متباينة سنة أخرى.

. سن خمس سنوات : وهو سن النضج في بدايته . وسمات هذا النضج تتضح في النشاط البدني، مع التعابير الانفعالية. مع نمو العلاقات مع الأفراد سواء داخل الأسرة أو خارجها، ثم اللعب المتنوع المعتمد على النشاط السريع والقوة إلى حد العنف أحيانًا.

.. سن ست سنوات : تقول الأمهات عن طفل السادسة "أنه طفل آخر" فهي سن انتقال، فأسنان لبنية تتبدل، وجهازه الحركي يمو. مع وصوح ميراث نفسي يجمع بين سن الثانية والنصف وسن الرابعة.

ونفسيًا يبدو الطفل متمردا ومتطرفا بعض الشيء، مع أداء السلوك المتناقض، فالحكم بين متناقضين من الأمور المحيرة له .. مثلا أيهما تختار "آيس كريم بالفانيليا أم بالشيكولاته؟"، وهي شخصية قابلة للتهيج، يقوم بتأنيس الأشياء أو إلباس الأشياء صفات الإنسان.

.. سن سبع سنوات : صفات طفل السادسة تزداد رسوخًا مع الميل إلى التأمل، ثم تتشكل داخله ما يسمى بالثقافة المعقدة نظرا لدور الطفل بالتخيل والجمع والإضافة. لكنه لا يميل إلى الانعزال. ثم قابلية طفل السابعة للانطباع بالطابع الاجتماعي، وبالتالي فهو سهل الانقياد. كما يبدو مستخدما للغة بشكل افضل.

إن حياة طفل السابعة تبدو أنشط عقليا وأكثر رحابة .. يتعرف على الساعة وفصول السنة، وعلى الكواكب والنجوم في السماء .. وهكذا.

.. سن الثامنة : يعد سن الرابعة سن توسع. والخامسة سن تركز. والسادسة سن انتشار وتشتت، والسابعة سن تفكير وتأمل .. فإن الثامنة سن التوسع من جديد مثل الرابعة، ولكن بصورة أكثر نضجا.

طفل الثامنة أقرب إلى الشخص المكتمل إذا قيس بموازين الكبار وبدلالة العلاقات بين الكبار والأطفال. وهو أكثر قدرة في بذل المجهود .. ميالاً إلى الكلام

والقراءة والكتابة. بل والتمرين على المهارات الخاصة مثل البيانو .. وهو بذلك على باب النشاط الاجتماعي.

وفي تلك السن تبدأ الفروق في الملامح بين الجنسين (الذكر والأنثى)، ويبدأ في اكتشاف نفسه .. وتبدأ الألعاب الخاصة بكل جنس والحكايات.

.. سن التاسعة : في تلك السن تبدأ علاقة الطفل مع الناس مع مظاهر الاعتماد على النفس. وهو سن مثالي للوصول إلى الكمال في المهارات الخاصة أو العمليات الحسابية وغيرها.

.. سن العاشرة : يقولون أن العاشرة مثل الخامسة .. سن سكون وقرار، لكن في العاشرة أكثر نضجا في الإفصاح اللغوي، مع بروز الملامح العامة للشخصية.

وبتعرف الآباء والأمهات بل والأبناء على تلك الملامح، يمكن للجميع العمل على تزكيتها وإبرازها والعمل على إنضاجها، بحيث تتحول من الملامح المكتبية أو العلمية البحتة إلى الملامح العملية.

فلا تتعجل الأمهات أو الآباء إقحام أطفالهم فيما يفوق قدراتهم، وكذا توفير الممكن بل وربما الضروري المناسب لصغيرهم .

اللعب والطفل

الأطفال يلعبون بدوافع داخلية وبشكل تلقائي وربما غريزي، كأنه باللعب يسعى لتحقيق حاجات نفسية وفسيولوجية تحتاجه مراحل النمو. فضلا عن كون اللعب يُعد تمرين طبيعي ممتع للقوى الذاتية العضلية والجسدية عمومًا.

إذا كانت مجالات السلوك البشرى المقننة الآن هى : الحركى / التكيفى / التواؤمى / اللغوى / الشخصى / الاجتماعى .. حتى الطفل فى شهوره الأولى نراه يطوح بذراعيه ويثنى ساقيه (حركى)، يثبت عينيه متأملاً قصة يده (تواؤمى). ويناغى ثم قد يضحك (لغوى)، وتصدر عنه أصوات عند اقتراب أمه (شخصى احتماعى).

فالطفل بالفطرة منزوع إلى اللعب لإشباع حاجاته .. وهو فى ذلك يسعى للتلاؤم من مراحل نضجه، وأعمق أنواع لعبه هو الذى يستغرقه ويساعد على نموه العقلى. لذا فقد تتبع العلماء نموذج اللعب البسيط مع (الرمل) وكيف أنه يتطور إلى وظيفة أعلى.

فالرمل مادة محببة للطفل منذ الـ ١٨ شهرًا من العمر ويبقى على صبره وعشقه له على شواطىء البحار حتى الثانية من العمر لا يمل ولا يكل من حمل حفنات منه ونقله وبعثرته إلى ما لا نهاية وبلا ملل فيحصل الطفل على خليط من البهجة النفسية والخبرات البصرية واللمسية والحركية معا ومع الإتقان والمثابرة تنمو القدرات العقلية.

وبعد الثانية يسعى الطفل إلى أن يخلط الماء بالرمل وربما بالأحجار. فتتشكل الطين التى هى مادة أولية لتشكيل أخرى.

فإذا بلغ الطفل الخامسة والسادسة يسعى لتشكيل الرمال بما يراه من حوله من أشكال وأشياء .. وفى السابعة ينشط خيال الطفل أكثر وأكثر وتزداد دقائق الأشياء التى يشكلها (ويمكن التقاط بعض الملكات الخاصة بالطفل فى هذه السن عن طريق اللعب).

وفى الثامنة يتحول اللعب التلقائى إلى شكله الاجتماعى بالمشاركة فى معسكرات الجوالة أو الكشافة حيث البيئة الطبيعية والتعامل معها .. وهى مرحلة لا تتم إلا تحت إشراف متخصصين بالمدارس أو النوادى.

أما بعد تلك السنين فيصعب النظر فى التوجه الإبداعى عند الطفل نظرًا لتداخل الثقافة السائدة بالمجتمع مع خيال وإبداعات الطفل الذاتية.

عمومًا رصد "أرنولد جزل" أنماط اللعب الغالب على الطفل منذ شهوره الأولى إلى الآتى : (رمل وماء - عروسة ودبة - عربات وسيارات - دراجة ثلاثية العجلات - لعب بالعرائس فى البيت - لعب تمثيلى للمشاهدات اليومية - فقراءة - فراديو - فدراجة - فعرائس ورق ثم كتب مضحكة) .. مع الوضع فى الاعتبار الفروق الفردية والفروق الجنسية بين الأطفال .

.. وهناك عدة أمور يجب أن يراعيها أولياء الأمور دون أن تفسر على غير حقيقتها .

قد يرفض الطفل اللعبة ولا يبدى أية مشاعر نحوها بما يفيد الرغبة فيها أو السعادة بها، إلا أن ذلك قد يعنى أن اللعبة غير منطقية بالنسبة للطفل وغير متوافقة معه، لذا عند إبعادها وإعادتها فى مناسبة أخرى مع تقدم العمر .. كثيرًا ما يعاود الطفل الاستجابة، ويبدو فرحا لتوائمها معه.

أن كثرة اللعب للطفل تعد من الأخطاء الشائعة، ففى كل مناسبة يجب تجهيز واحدة منها فقط وعلى فترات .

قد يقلق الوالدين لسيطرة لعبة بعينها دون غيرها على اهتمام الطفل .. كأن يهتم الطفل من الخامسة إلى السادسة بلعبة القطار المتحرك . إلا أن هذه الظاهرة توجد لدى الأولاد أكثر من البنات وهن أكثر اتزانا وتنويعا فيما يفضلن من اللعب.

كثيرًا ما يبدأ الأطفال بعض الألعاب إلا أنهم لا يتمونها حتى النهاية .. كأن يجمع تذاكر القطارات أو غيرها ثم لا يلبث لا ينتهي منها على ما كان يظن الأب. وهنا لا يجب القلق ومراعاة النمو العاطفي والعقلي للطفل الذى يبدو أحيانا سريعا ومتنوعا.

أما ظاهرة "التدمير" التى قد يمارسها بعض الأطفال، فهي من الظواهر المقلقة عند الوالدين .. والحقيقة أن التدمير هو إنشاء بشكل أكثر، ومحاولة للطفل لاكتشاف أسرار اللعبة. لأنها في الحقيقة نوعا من مهارة الطفل وليس تدميرًا.

إلا أن ازدياد هذا الميل بمضي الوقت وتحولها إلى ظاهرة من ظواهر العنف، يجب مواجهة الموقف بتعقل ودراسة شخصية الطفل والبحث عن الأسباب الحقيقة.

وربما في كلمة أخيرة تكون اللعبة (واللعب) متنفسا للطاقة الزائدة عن الحاجة، أو محاولة لإظهار القوة، أو رغبة في الضحك أو الجلبة. ومع ذلك فاللعب له بواعث مستقبلية مثل حب الاستطلاع والتجريب واستغلال المهارات (سعة الحيلة - الابتكار - وغيرها)، ومن هنا يجب النظر إلى اللعب بما يتناسب مع أهميته.

.. ملامح ابتكارية هامة في عمر الطفل :

-عمر سنة واحدة .. وضع الأشياء داخل وخارج أشياء أخرى.

-عمر ١٨ شهر .. يملأ ويفرغ أوعيته، قد يبني برجا من ثلاث أو أربع مكعبات.

-عمر سنتان ونصف .. يصنع من الطين على هيئة الكتل أو الفطائر.

-عمر ٣ سنوات .. (البنات والبنين) يفضلون الألعاب المنزلية، واللعب مع رفاق يتخيلهم، تشكيل الطين.

-عمر ٤ سنوات .. يفضل اللعب مع الأطفال الأخرين، لعب تمثيلى (خليط من الحقيقة والخيال). تشكيل المنشآت بالكتل، يرسم ويدهن ويلون.

-عمر ٥ سنوات .. تقليد الكبار، استخدام العرائس كما الأطفال الرضع. النقش والتلوين، ينقل الحروف والأعداد.

(تبدأ البنات فى التميز فى ألعابهن عن الولاد).

-عمر ٦ سنوات .. ألعاب عضلية وشقاوة، ألعاب التجارة مثل النقر بالشاكوش، جمع أشتات متناثرة، ألعاب تخيلية كان يتخيل نفسه حصلنا. (البنات يفضلن العرائس، الولاد يميلوا للقوة).

-عمر ٧ سنوات .. الميل إلى الكتب المضحكة، جمع الأشياء والاقتناء، أما البنات يفضلن قص وحياكة أو محاولة حياكة فساتين العرائس .. والولاد يميلوا لاستخدام الأدوات أو الآلات البسيطة .. (مع لعبة عسكر وحرامية).

-عمر ٨ سنوات .. يفرق الطفل بين اللعب والعمل ، قد يؤلف لعبته الخاصة من اللعب المألوفة مثل النرد أو ألعاب الورق. الميل إلى اللعب الجماعى مع حب الثرثرة والكتب الملونة.

-عمر ٩ سنوات .. وضع الخطة لما سيفعله، الاقتناء للطوابع وغيرها، يفضل الأولاد ألعاب الميكانو (القطع المعدنية شكلة التشكيل أو الفك والتركيب)، البنات يملن إلى الطبخ وأعمال الأم المنزلية.

(هذه الملامح ليست كل الخصائص المهارية للطفل .. فقط للتركيز على الجوانب التى قد تساعد أو تشى بوجود ملامح إبداعية فطرية عند الطفل).

.. أما وتعتبر "القراءة" من بدهيات اهتمام الكبار وتلقين الصغار لها، لذا فإن (الكتاب) من أساسيات محاور دراسة علاقة الطفل بالمعارف عن طريق الكتاب .. هذا من جانب ومن جانب آخر تعد القراءة إحدى ألعاب التسلية التي يفضل تنميتها والوعي بأسرار علاقة الطفل بها.

وقد تلاحظ أن لكل مرحلة سنية ملامحها في علاقة الطفل بالكتاب وهي:

-عمر ١٨ شهرا .. يقلب الصفحات.

-عمر سنتان .. يحب سماع الأسجاع أو الغناء المسجوع، ينظر إلى صور الكتب.

-عمر سنتان ونصف .. يحب تصفح الكتاب، حب سماع الأسجاع أو الحواديت عن الأشياء المألوفة.

-عمر ٣ سنوات .. تطول فترة الإصغاء ، حب سماع الحكايات، وتكرار سماعها.

-عمر ٤ سنوات .. الإصغاء للقصص الطويلة، وحب القصص الفكاهية.

-عمر ٥ سنوات .. يحب قصص الحيوانات والمبالغات .

-عمر ٦ سنوات .. يبدأ في تمييز الكلمات، ويسمع الحكايات التي تتناول نشاط الأطفال.

-عمر ٧ سنوات .. بعضهم تتأصل فيه هواية قراءة الكتب البسيطة، يحب الحكايات الخرافية والأساطير. مع الاهتمام بالهزليات بصورة ملفتة.

-عمر ٨ سنوات .. الاهتمام بكتب الرحلات والقصص الدينية. مع تصفح مجلات وكتب الكبار.

-عمر ٩ سنوات .. في هذه السن تبدأ الفوارق الفردية. البعض يلتهم ما يجده من كتب بينما تقل الرغبة عند البعض.

.. تبقى من بعد بعض النشاطات الهامة والتى تبدأ على شكل ألعاب تسلية بالنسبة للطفل ثم قد تنمو وتتأصل فيه (كما فى القراءة) .. تلك هى الموسيقى والمذياع والسينما، كذلك قدمت الدراسات هذه الملامح :

-عمر ١٨ شهرا .. يصغى إلى موسيقى المذياع ويتحرك بما يشبه الرقص.

-عمر سنتان .. تبدأ حركاته الراقصة مع الموسيقى أوضح.

-عمر سنتان ونصف .. يفضل تكرار القطعة الموسيقية التى تعجبه، ويعبر عن إعجابه بالجرى داخل الغرفة.

-عمر ٣ سنوات .. تزاد خبرته بتميز المقطوعات الموسيقية .

-عمر ٤ سنوات .. يفضل فتح المذياع بنفسه ، قد يلعب على الآلات الموسيقية إذا توفرت أمامه وخصوصا البيانو.

-عمر ٥ سنوات .. يردد أغانى الإعلانات الخفيفة ، الاستماع إلى بعض برامج الإذاعة.

-عمر ٦ سنوات .. يحب البرامج المصحوبة بالموسيقى ولا يصبر على الأحاديث الطويلة. مع التعلق بالأفلام القصيرة عن الحيوانات وأفلام "الكرتون".

-عمر ٧ سنوات .. يبدأ استعداد الطفل على تلقى دروس الموسيقى على آلات الإيقاع .. مع الاهتمام بمشاهدة أفلام المغامرات والطبيعة.

-عمر ٨ سنوات .. قد يتدخل فى تأليف كلمات الأغنيات، مع الاهتمام بالاستماع المتنوع لبرامج الإذاعة.

-عمر ٩ سنوات .. يقبل بشغف على تعلم أصول الموسيقى، التعلق بالأفلام البوليسية. مع الاهتمام بموضوعات الحركة والإثارة موضوعات الحيوانات.

الطفل مخلوق مفكر

تؤكد الدراسات الآن، أن الطفل يحمل من الأفكار والمعلومات والآراء ما يماثل مرحلة من مراحل الإنجاز الفكرى والعلمى، وربما الفلسفى لرحلة الإنسان على الأرض، أى ربما يحمل من المعلومات ما يفوق معلومات فيلسوف إغريقى قديم..

لعل فكرة "العلية" أو "السببية" الآن عند الطفل لم تصل إلى تفكير الإنسان إلا فى مرحلة متقدمة، بينما أصبحت تلقائية (إلى أن وصفها البعض بالفطرية) عند طفل اليوم، وقد يرجع ذلك إلى كم المعلومات المنتظمة أو المنظمة. بمعنى ما حول شتى الظواهر والمدركات للإنسان ومن حوله. وهو ما يشير إلى الفهم أو العلم الفلسفى لدى طفل اليوم إذا ما كانت الفلسفة هى تلك المعرفة المنظمة.

أكدت الدراسات أن الطفل فى المرحلة الجنينية. له قدرة استجابية مع العالم الخارجى سواء بحركة أو زحزحة، إلا أن فتوحات الطفل الحقيقية تبدأ بعد الولادة حيث يبدأ فى اكتشاف العالم من حوله من خلال أربعة مجالات هى:

مجال الزمن والفضاء .. العين تلعب دورًا هامًا هنا. فالوليد فى يومه الأول قد "يثبت" بصورة بدائية إحدى مقلتيه على شىء قريب. وبعد أسبوع يبدو قادرًا أكثر على التثبيت. فإذا أتم شهره الأول استطاع أن يحدق النظر (فى كل ما سبق بإحدى مقلتيه) أما بعد شهر آخر فقد ينجح فى توظيف كلتا الحدقتين فى غزو الفضاء من حوله.

ثم تأتى يداه لغزو الفضاء وعلى المسافات القريبة .. لتأتى مرحلة هامة من بعد وهى الحبو وغزو المسافات القريبة.

وتأتي مرحلة اكتشاف البعد الثالث .. بيده والعبث في الأوعية والمحتويات.. أو الملء والتفريغ والعبث في الرمل وتشكيل الطين وهكذا (هذه المرحلة سماها أفلاطون : إن الفطرة تهندس).

وفي الخامسة يستطيع الصغير أن يرسم خريطة ، طرقا موصلة إلي مكان. أما في السادسة يبدأ الابتعاد عن كونه مركز العالم ويبدأ النظر إلي الشمس والكواكب. وفي السابعة ينتبه إلي وجود أماكن أخرى في العالم المحيط به، حتى إذا بلغ الثامنة عرف معنى الدول الأجنبية البعيدة عن بلده .. وفي العاشرة يدرك الاتجاهات الأربعة والعالم الكبير البعيد والقريب.

أما عن الزمن، فلا يدرك الصغير إلا "هنا والآن"، ومع النضج تبدو التوقعات المستقبلية من الأمور المحتملة .. فتراه في السادسة يهتم الطفل بالتعرف على الأعمار والحديث عن مرحلة الرضاعة التي هي بمعنى ما امتداد زمني .. ويبدو التعرف على الزمن الآتي لافتا لانتباه الصغير حتى يدرك العلاقة بين الزمن والتاريخ في العاشرة .. فيتعرف على أيام الأسبوع وعلى علاقة اليوم بالأحداث .. وهكذا.

مجال "الأنا" والمجتمع .. "الأنا" تعني النفس أو الذات المتصلة بشخص ما (أي ذلك الفرد الذي يزداد استقلالية عمن حوله) ويقولون إن وجود أشخاص آخرين يساعد الرضيع على إدراك وضعه هو والتعرف على مكانته (المكانة النفسية).

ففي سن ٣٢ أسبوعا يحس بالغرباء وإن لم يكن تعرف على نفسه، حتى عمر السنتين يبدأ في التعرف على نفسه واسمه، وكل الرجال (بابا) وكل السيدات (ماما) وفي الثالثة تزداد قدرة الطفل على المساومة، أما في الخامسة فيبدأ التعبير عما يشير على أنه كبر .. كأن يتساءل إذا كان أخوه الرضيع قادرًا على فعل كذا؟.

وفي السادسة يكثر السؤال عن ذاته وتركيبه التشريحي مع رغبته في المشاركة بالعالم الخارجي. وفي السابعة يتسع العالم من حوله فيطلب له مكانا في المائدة أو في السيارة، وفي الثامنة يصبح التعرف على العالم الخارجي والبلدان

الأجنبية والثقافات الأخرى من أهم اهتمامات الصغير .. حتى إذا بلغ العاشرة يسعى لأن يقرأ مجلات الكبار وتحديد المهنة التي سيعملها ويحبها.

فى دراسة عن الطفل الأمريكى .. حول الإجابة عن السؤال : ماذا يصنع الجند

(يجيب طفل الثالثة بأنهم "يمشون فى طابور" وفى الرابعة يقول "بأنهم يحاربون بالبنادق" وفى الخامسة يتحدث عن اليابانيين "حلوهم وسيئهم" وفى العاشرة يسخر من "هتلر" وأنه لا يجيد هجاء كلمة قطة!).

واضح هنا الفروق العمرية، مع فروق الثقافة الخاصة الملقنة للطفل.

الحياة والموت .. هى المجال الثالث فى حياة الطفل الفكرية، فالمزج بين فكرة الحياة والموت أشبه بالتطابق، وفى الخامسة يعلم أن الميت لا يتحرك لكنه لا يحزن على اعتقاد بإمكانية عودة الروح (تلك الفكرة الفلسفية التى هى فى الأديان بشكل ما).

عمومًا طفل الثالثة لا يفهم كلمة الموت، بينما ابن الرابعة فقليل الفهم للكلمة، ويهتم أكثر بقضية "أصل الحياة" وكيف خلقنا؟ "ومن أين أتى الطفل"؟ ثم تظهر عليه بوادر الاهتمام بالتوالد فى عالم الحيوان.

وابن الثامنة متفتح فى هذا المجال حيث يرى أن فترة النمو فى رحم الأم من المراحل المهمة. بينما يفكر ابن العاشرة فى القوة الخارجية وراء كل ما يراه.. بينما يرى ابن السابعة أن الموت يمس شخصه وأنه هو نفسه سيموت.

مجال الكون والله .. يقول "ثورو" :

"يصح أن نقول إن الرضيع ينفصل عن الطبيعة أو الفطرة وينأى عنها كما يرتحل الرجل الكبير عنها ويغادرها، وعلى هذا يكون الطفل أثناء صغره وقصوره مطابقًا للطبيعة أو الفطرة مندمجًا فيها كأنما هو جزء منها".

إن رحلة الطفل (الإنسان) طويلة حتى يستطيع تأمل الكون الذى منحه له مولده .. ليقهر الزمن والفضاء. فتكون الأسئلة: ما هذا؟ ولماذا؟ وكيف؟ .. فتكون الفتوحات من خلال العلوم والديانات.

غالبًا ما يكون الفضاء هو أشياؤه التى ينام عليها ويأكل فيها وغيره. وربما شجرة يراها على الأفق. يزداد الفضاء اتساعا مع بداية الحركة بعد أن يحبو ثم يسير ويجرى .. فيتعرف على المزيد والمزيد.

لذا قد ينجز فى الخامسة ما يعبر عن اتصال العالم به، بتخطيط مكان معين من حوله، حتى إذا بلغ السادسة والسابعة تصير مهماته أبعد من شخصه .. ويتلمس الكتب المصورة، كما أنه يتساءل عن السماوات الفلكية والجنة والنار .. ومكان الله، ثم الطقس ودلالة ما يراه من حوله فى الشتاء والصيف.

كما تصبح الأسئلة : من أين أتيت ؟ أين عثرت علىّ يا أمي؟ أين كنت أيام كنت أنت فى المدرسة يا أمي؟ (وهل يصنع السوبرمان رجالا من صنفه؟ وهو سؤال خاص بالطفل الأوروبى أو الأمريكى حيث ثقافة أخرى). أما الأسئلة (من خلق الله؟ وهل ولد الله؟ فهى من الأسئلة التى راودت هذه المرحلة السنية فى بقاع العالم.

لذا يجب على الوالدين :

*عدم السخرية من الطفل .

*التساؤل بالتشكك والتعبير عن الحيرة من الأمور الإيجابية فى نضج الطفل العقلى.

*إن الثقافة الشائعة فى بيت الطفل تلعب دورًا هامًا فى تشكيله خلال تلك المرحلة المبكرة.

والآن هل من المبالغة القول بأن الطفل مخلوق مفكر؟، وهذه الإطلالة ربما تشى بالتاريخ الفكرى للإنسان منذ الأزل، ليبقى السؤال وماذا بعد أن نضج الطفل.. ماذا نقول ونكتب له إضافة لفكره؟؟

الذكاء العام والقدرات العقلية

.. إذا كان "الذكاء" هو "السمة" التى نالت اهتمام علماء النفس وإن اختلفوا حول قضية الفروق الفردية فى الذكاء . للذكاء عدة تعريفات بتعدد الاتجاه التعريفى كالتالى :

الاتجاه اللغوى ..

"ذكاء" كلمة مشتقة من الفعل الثلاثى "ذكا"، وبالمعجم الوسيط : ذكت النار ذكوا وذكا وذكاء أى اشتد لهيبها واشتعلت.

الاتجاه الفلسفى ..

قال أرسطو بالوجود أو النشاط الواقعى (الوجود بالفعل) وبين النشاط المحتمل (الوجود بالقوة)، والنشاط العقلى (الذكاء) هو وجود بالقوة أى الوجود المحتمل وجوده بالجسم. كما قدم "ابن رشد" دراسات فى الفروق الفردية فى النواحى العقلية فى كتابه "الدعاوى القلبية"، كما تناول فكرة "وحدة العقل".. وهو فى ذلك غير متناقض مع فهمه كما ادعى مفكرى القرون الوسطى الأوروبية. لأنه ببساطة فرق فى الدرجة وليس فى النوع (الذى هو النشاط العقلى).

ثم تتابعت المذاهب الفلسفية لتفسير الفروق الفردية فى النشاط العقلى. ويمكن إجمالها فى نظريتين هما : نظرية الملكات ونظرية فراسة الدماغ وذلك حتى أوائل القرن التاسع عشر حيث كانت بدايات علم النفس وتبنى العلم الجديد للفكرة.

الاتجاه البيولوجى ..

عرف "هربرت سبنسر" الحياة بأنها "تكيف" مستمر متصل من جانب العلاقات الداخلية للعلاقات الخارجية ويعتقد أن هذا التكيف يمكن الوصول إليه

عن طريق الذكاء عند الإنسان وطريق الغريزة عند الحيوانات .. ويعرف الذكاء بأنه "القدرة على الربط بين انطباعات عديدة منفصلة".

الاتجاه الفسيولوجي ..

أكدت الدراسات والبحوث التجريبية والميكروسكوبية للمخ على صحة نظرية سبنسر في وجود نظام هرمي للوظائف العقلية .. فالمخ يعمل ككل ولا يوجد جزء يعمل منفصلا، وهذا يؤكد المفهوم العامل العام أو الذكاء العام.

.. عمومًا تعددت محاولات الاقتراب بالتعريف للذكاء، والمتابع يلاحظ أن مشكلة التعريف الاصطلاحي هي المشكلة (المنهجية) الحقيقية في تعريف الذكاء حيث لم يقدم أحدهم تعريفًا اصطلاحيًا للذكاء، بما جعل البعض يفهم بعدم وجود اتفاق على تعريف محدد للذكاء.

لذلك فإن تعريف "بورنج" عام ١٩٢٣م هو الأكثر شيوعا وفي ذلك يقول : "إن الذكاء كإمكانية قابلية للقياس يجب تعريفه منذ البداية بأنه إمكانية الأداء الجيد في اختبار للذكاء"، وقد اختصرت هذه العبارة في المقولة المشهورة : "إن الذكاء هو ما تقيسه اختبارات الذكاء".

.. أما والقدرات العقلية في جوهرها أنماط معرفية وتشمل بما يسمى بـ "العمليات المعرفية" والمعلومات بالمعنى العام هي ما يستطيع الكائن العضوى تمييزه. ويمكن تمييز المعلومات على أساس نوعها ومقدارها ومستواها.

ففي مجال نوع المعلومات .. هناك معلومات حسية، معلومات حركية (أساسها الأفعال المنعكسة التى تبنى عليها الحركات الأساسية ومن أشكالها (الانتقال المكانى / القدرات الجسمية / المهارات الحركية الدقيقة / الاتصال الحركى). المعلومات الإدراكية ومنها البصرية والسمعية أو لمسية .. والفرق بينها والمعلومات الحسية أن الأخيرة هي محض إحساس.

ثم هناك المعلومات الرمزية مثل الحروف الأبجدية والأرقام والفونات أو الأصوات الكلامية . والمعلومات السيمانتية وهى التى تتمثل فى الأفكار والمعانى والتى تتشكل فى صور لغوية وقد تكون غير لغوية (الصور ذات المعنى). كذلك المعلومات الشخصية والاجتماعية. وعن مجال مستوى المعلومات .. وهو يشمل التدرج من المستوى البسيط إلى المستوى المركب داخل النوع الواحد من الأنواع وهى متدرجة كالتالى :

-الوحدات أو الوحدات السيكولوجية للمعلومات.

-الفئات وهى مجموعات من الوحدات تجمعها خصائص مشتركة.

-العلاقات وهى مجموعات الربط بين الوحدات، فالعلاقات بين المدركات الحسية تشمل الحجم والموضع والمسافة والقلب والتدوير والعكس وغيرها.

-المنظومات أو الأنساق أو التراكيب أو الأبنية، فهى عبارة عن مركبات تجمع أجزاء متفاعلة أو بينها علاقة متداخلة.

وأخيرًا مجال مقدار المعلومات .. ويحتل هذا النوع من المتغيرات المستقلة منزلة خاصة لما يحيط به من مشكلات خاصة بقياسه. ولقياس المعلومات (مقدارها) إرتكن علم النفس على أربعة عوامل أساسية هى :

-عامل التركيب التقاربى أو التفكير الحدسى .. أى الحلول التقاربية للمشكلات باستخدام التركيب.

-عامل التركيب التباعدى أو الطلاقة والتخمين. وهو يتطلب القدرة على الوصول إلى تباعدية باستخدام معلومات قليلة مع أكبر قدر من الحرية (وهو أقرب للتداعى الحر).

-عامل التحليل التباعدى أو المرونة وتشمل الأصالة أو الاستبصار. وهذا العامل يتطلب القدرة على الوصول إلى حلول تباعدية للمشكلات باستخدام التحليل.

والعاملان الأخيران يعتمدان على "التداعى" إلا أن أولهما يعتمد على التداعى الحر وثانيهما يعتمد على التداعى المقيد .. ويختلفان فى أن "الطلاقة" تتحدد فى حدود كمية أى بعدد الاستجابات أو سرعة صدورها أو هما معًا .. أما "المرونة" فإنها تعتمد على الخصائص الكيفية للاستجابات وتقاس بمقدار تنوع هذه الاستجابات.

-عامل التحليل التقاربى أو الاستدلالى، وهو يسعى للوصول إلى حلول المشاكل باستخدام التحليل أو مقادير كبيرة من المعلومات ..

.. نماذج معرفية هامة :

لعل أهمية المقولات السابقة ترجع إلى توصيل دلالة معرفية هامة تتمثل فى ثلاثة نماذج للمعرفة الهامة فى مجال الاقتراب من عالم الطفل، ألا وهى "التعلم / التذكر / والتفكير".

تتشابه النماذج الثلاثة فى أسس تصنيف القدرات العقلية المتضمنة فى كل منها. أما وجه الاختلاف بينهم فيتمثل فى طبيعة المعلومات من ناحية وفى طريقة عرضها من ناحية أخرى.

فالتعلم يتضمن أن تكون المعلومات على درجة كافية من الجدة يتم عرضها مرة واحدة أو عدة مرات .. أى أن التعلم بين بالاكتساب.

أما التذكر فيشمل تخزين المعلومات واسترجاعها، ولا يتم هذا إلا بعد مرحلة التعليم الأساسى، والمعلومات هنا ليست جديدة.

وعندما تكون المعلومات جديدة نسبيا، فإن هذه المعلومات الجديدة تحتاج إلى النشاط التفكيرى، وبذلك يصبح التفكير عملية تجهيز للمعلومات، ولا يحتاج إلى عروض متتابعة للمعلومات الجديدة كما هو الحال فى التعلم.

أنواع وأشكال الذاكرة .. (ذاكرة وحدات الأشكال - ذاكرة وحدات الرموز ذاكرة وحدات المعانى - ذاكرة فئات الأشكال - ذاكرة فئات الأشكال - ذاكرة فئات الرموز - ذاكرة فئات المعانى - ذاكرة العلاقات بين الأشكال - ذاكرة العلاقات بين الرموز ذاكرة العلاقات بين المعانى ذاكرة منظومات الأشكال البصرية - ذاكرة منظومات الأشكال السمعية ذاكرة منظومات الرموز - ذاكرة منظومات المعانى - ذاكرة تحويلات الأشكال - ذاكرة تحويلات الرموز - ذاكرة تحويلات المعانى - ذاكرة تضمينات الأشكال - ذاكرة تضمينات الرموز - ذاكرة تضمينات المعانى)

وتمر الذاكرة بمراحل ثلاث :

-التشفير ، ويقصد بها عرض المعلومات الحسية فى المخ (بصريا - سمعيا وغيرهما). فتقوم أعضاء الاستقبال بتحويل هذه الطاقة الفيزيائية وتسجيلها داخليا بالمخ.

-التخزين، وهى فترة تواجد أثر التسجيل فى عنصر التشفير السابقة.

-الاسترجاع، ويقصد بهذا المكون استخدام المعلومات المختزنة وقت الاختبار. سواء نتيجة مثير خارجى أو داخلى .

أنواع التفكير .. وهى عديدة

أولاً : التفكير التقاربى .. وهو يتضمن التفكير المعرفى والتفكير الإنتاجى التقاربى. والفرق بينهما أن الأول (المعرفى) يعتمد على الحلول الانتقائية. والثانى (الإنتاجى) يعتمد على الحلول الإنتاجية.

والتفكير المعرفى له الكثير من العوامل ومنها : (معرفة وحدات الأشكال البصرية - معرفة وحدات الأشكال السمعية - معرفة وحدات الرموز البصرية - معرفة

وحدات الرموز السمعية - معرفة وحدات المعانى - معرفة وحدات المواقف السلوكية معرفة فئات الأشكال - معرفة فئات الرموز - معرفة فئات المعانى - معرفة العلاقات بين المواقف السلوكية - معرفة تحويلات الأشكال .. إلخ).

أما عوامل التفكير الإنتاجى التقاربى منها : (الإنتاج التقاربى لوحدات المعانى - الإنتاج التقاربى لفئات الأشكال - الإنتاج التقاربى لفئات الرموز .. إلخ).

ثانيًا : التفكير التباعدى .. ويتحدد بعدد كبير من العوامل، نذكر منها "الإنتاج بالتباعدى لوحدات الأشكال" .. أو "طلاقة الأشكال" وقد وضع العالم "جيلفورد" اختبارًا لهذا العامل مثل أن يقدم للشخص رسمًا .. لعدد من الدوائر ويطلب منه بأقل عدد من الدوائر التى يضيفها ينتج أكثر من شكل.

ثالثًا : التفكير الاستدلالى .. وهو ذلك النمط من التفكير الذى يتطلب استخدام أكبر مقدار من المعلومات بهدف الوصول إلى حلول تقاربية.

رابعًا : التفكير الحدسى .. قديمًا كانت المفاهيم "الاستبصار وتكوين المفاهيم دون تلفظ، والإدراك الأدنى" هو الفهم الشائع للتفكير الحدثى، ومن التعريفات الحديثة ما قال به د. فؤاد أبو حطب فى كتابه "القدرات العقلية": "التفكير الحدسى هو العملية العقلية المعرفية المستنتجة من تفاعل مقدار قليل من المعلومات مع الوجهة التقاربية لحلول المشكلات.

خامسًا : التفكير الارتباطى المقيد (الطلاقة المقيدة) .. هو ذلك النمط من التفكير الذى يتطلب توافر مقدار كبير من المعلومات، كما يستخدم فى الوجهة التباعدية للاستجابة فى ضوء تعليمات الاختبارات (باعتبارها المصدر الوحيد فى تحديد طبيعة المعلومات التى تستخدم - حتى الآن على الأقل).. وهو نوع من أنواع التداعى.

سادسًا : التفكير الارتباطى الحر (الطلاقة الحرة) ..وهو أقرب لتعبير التداعى الحر والفرق بينه وبين التفكير الارتباطى والمقيد هو درجة الحرية فى التداعى.

ثم هناك نمطان من التفكير لهما أهمية خاصة في مجال الحديث عن طفل القرن الواحد والعشرين. ألا وهما :

التفكير الناقد ..

وقد اعتبره البعض عملية تقويمية، يتمثل فيها الجانب الحاسم والختامي في عملية التفكير. إذن فالتفكير الناقد كعملية تقويمية تحدده خاصية أنه عملية معيارية.

لقد قال علماء النفس بإمكانية تقييم التفكير الناقد في ضوء ملائمة الحكم مع مدى التطابق بين وحدات المعلومات، وكذلك إلى مدى الاتساق الداخلي بين المقدمات والنتائج أو بين البيانات والاستنتاجات. وهناك التقويم في ضوء الخبرة وهو المتمثل في مدى اتساق البيانات مع مطالب الجماعة .

التفكير الابتكاري ..

لعل هذا النمط من التفكير من أهم الأنماط من أجل البحث عن فئة هامة وضرورية في المجتمع من الكتاب والعلماء والمخترعين وعلماء الرياضيات والفنانين عموما وكذلك المؤلفين والقادة.

فإذا كانت الأنماط السابقة من التفكير تعتمد على الاستدلال والحكم .. فإن تحديد الاستعداد للتفكير الابتكاري مازال صعب على الرغم من كل ما أنجز في مجالها. وقد شاع الربط بين التفكير الابتكاري والتفكير التباعدي المتمثل في الطلاقة والمرونة والأصالة، ودائمًا السؤال هو مدى إسهام استعدادات التفكير التباعدي (السابقة) في التفكير الابتكاري؟ لذا وضع العلماء عدد من المحكات الهامة حتى يتصف التفكير بالابتكاري وهي :

١ - النبوغ .. وقد استخدمه العلماء في دراساتهم للعبقرية. ويتمثل هذا المحك في أن يحرز المرء النابغ مكانًا ومكانة بارزين في أحد. ميادين المعرفة أو الحياة. وأفضل مكونات النبوغ المؤشرات الموضوعية التي تتمثل في مقدار اهتمام وسائل الإعلام والاتصال بالشخصية النابغة (كمقابل عملي للعبقرية).

وقد وجدوا أن النوابغ ينالون أكبر قدر من الطلاقة والمرونة والأصالة بالمقارنة بينهم وبين الممارسين العاديين (فى نفس المجال الفنى أو الأدبى).

٢- متطلبات حاسمة .. يقتصر النبوغ على قلة من الأفراد من ذوى القدرات الابتكارية العالية (العباقرة والمبدعين).

ولما كانت الحياة العملية فى حاجة إلى قدر من التفكير الابتكارى فى مجال الهندسة والطب والتجارة وغيرها .. لذا كان الاتجاه هو البحث عن فرد أكثر ابتكارية عن غيره، فكانت بعض الأفكار هى الاختبار مثل صياغة المشكلات، تحمل المسئولية، حسن الأداء .. إلخ .

٣- محك اختبارى .. وفيه يطالب الفرد بكتابة قصة أو رسم لوحة أو كتابة نوتة موسيقية وغير ذلك من العناصر العملية التى يمكن التعامل الفعلى معها لإصدار حكم ما على الفرد نفسه من حيث إمكانيته الابتكارية من عدمه.

.. وأخيرًا فلن نتورط فى دهاليز البحوث العلمية الأكاديمية فى شأن العلاقة الرياضية والمعاملات بين الابتكارية والعمليات العقلية كالذكاء أو الاستدلال وغيرهما .. فإنه من الهام الأخذ برأى المحيطين بالطفل (فى مجال دراسة الطفل النابغ. فمن أهم المحكات الأخذ بأسلوب "التقديرات" أى آراء المدرسات وغيرهم فى الحكم على الطفل من كونه مبتكرًا أم لا (على اعتبار أن المبتكر شخصية لافتة دومًا).

الفروق الفردية والتلقى

.. إن حقيقة تفرد الإنسان من الثوابت التى يقر بها العامة قبل علماء النفس. كثيرًا ما نجد الأطفال الذين ينشأون فى نفس الظروف الأسرية يختلف بعضهم عن بعض حتى منذ الطفولة الباكرة.

وقد جعل علماء النفس منهجهم يقوم على العناصر الأساسية التالية: الوصف/ التفسير/ والتنبؤ. وعمومًا فإن الرؤية فى هذا الموضوع تقوم على وجهتى نظر:

-أن هذه الفروق بين الأفراد تعنى أن فرص تنمية الإمكانات كانت غير متكافئة.

-والرأى الآخر، أن هذه الفروق من الحقائق البيولوجية التى لا يمكن تجاهلها.

وكلا الرأيان له وجهته غير المثبوتة. إلا أنها وجهات نظر ويصعب الإثبات العلمى الصحيح له. ويجب أولا الاقتراب من مفهوم الشخصية .. وفى تعريف لها يقوم على مبدأ المقارنة: "الشخصية هى البنية الكلية الفريدة للسمات التى تميز الشخص عن غيره من الأفراد".

والمقارنة إما مع مستويات مطلقة للشخصية (أى الشخصية المثل أو النموذج)، والأشخاص كما الأشياء لا تعرف إلا بأضدادها: كأن نقول شخص يستجيب بسرعة أو بعنف أو بدقة وغيره. والخصائص أو السمات هى تجريدات نصل إليها بتحليل الكليات .. فوصف البرتقالة بأنها صفراء وكروية وسكرية الطعم لا يفى كليتها .. ثم يجب التنويه على أن السمة هى : الخاصية أو الصفة.

.. لقد أثارت فكرة الفروق الفردية مجموعة من المسائل : مثل قابلية "السمات للقياس" حيث أن مفهوم السمة كمى .. فهى توجد فى كل الأفراد ولكن

بدرجات متفاوتة فيما بينهم . وهنا تكون المسألة التالية : كيفية توزيعها إذن على الجماعات؟ .. باستخدام "الجدول أو الرسم التكراري في علم الإحصاء وهو المناسب لتلخيص البيانات الكمية لفهمها .. تلاحظ الآتي : أن أغلب الأفراد تقع في المنتصف .. وفي إحدى الدراسات للعالم البلجيكي "أدولف كيتليه" حيث اعتمد على توزيع صفات الطول والوزن وغيرها من الصفات البشرية .. خلص إلى هذه الفروق الفردية ترجع إلى عدد كبير جدًا من العوامل المستقلة.

إلا أنه يلزم الإشارة إلى التساؤل حول مدى الفروق الفردية ومحدوديتها وكيفية التعرف عليها. ما دامت الفروق الفردية كمية في أغلبها، وتتخذ صورة معينة من صور التوزيع الكمي يصبح من المهم أن يكون لها مدى من التباين أو الاختلاف من شخص لآخر. يتحدد به إلى أي حد تتسع هذه الفروق أو تضيق.. أو إلى أي مدى تتذبذب الفروق بين الأفراد.

لعل أهم ما انتهوا إليه هو تأثير عاملي الوراثة والبيئة. فمن المعروف إنه إذا كانت السمة تتحدد تحديدًا كبيرًا بالوراثة لا تظهر فيها اختلافات فردية واسعة. أما إذا كانت تتحدد بالعوامل الثقافية والبيئة فإن مدى الفروق الفردية يتسع.

.. والسؤال الهام الآن : ما هي العوامل المؤثرة في النشاط العقلي؟

على الرغم من تداخل تلك العوامل وتأثيرها ثم تأثرها في بعضها البعض. إلا أن العلماء أقاموا تقسيمًا مجردًا كمحاولة لدراسة كل عامل على حدة .. وهي:

أولاً : الوراثة ..

إذا كانت خلية الإنسان تحتوي على ١٠٠٠ مورث، فإن عدد الارتباطات المحتملة في حالة التزاوج بين خليتين (ذكرية وأنثوية) تكون فرص كبيرة جدًا للتنوع والاحتمالات. وهناك من قال بوراثة "الخصائص المكتسبة". وهناك تقسيم للخصائص المورثة في الأفراد .. خصائص تتصل بالبنية وهي تشمل كل ما هو فطري أو عضوي أو جسمي وله أصل فسيولوجي، ويشمل العوامل التشريحية والفسيولوجية

والبيوكيميائية، ويمكن التعرف عليها بالتشريح ودراسة الخصائص داخل الخلية أما الخصائص الوظيفية فيشير إلى كل ما هو سلوكى أو خبرى أو له أصل نفسى أو سيكولوجى بالفعل.

ثانيًا : البيئة ..

ويصعب تحديد مفهوم البيئة (على العكس من مفهوم الوراثة). فالدلالة المكانية لمفهوم البيئة لا يعنى شيئًا هنا. حيث اشتراك فردان فى مكان واحد لا يعنى اشتراكهما فى بيئة نفسية واحدة.

ربما أنسب تعريف للبيئة النفسية هو مجموعة الاستثارات التى يتلقاها الفرد منذ لحظة إخصاب البويضة فى رحم الأم حتى الوفاة . وقد اهتم العلماء بالبيئة داخل رحم الأم، وقالوا إنها ليست بيئة معزولة أو مغلقة، فالطفل يتأثر بإفرازات الأم الهرمونية، وغذائها بل وبالنيكوتين والكحوليات إذا ما كانت الأم تدخن أو تحتسى الخمور. أما البيئة بعد الولادة فتشمل كل الأشياء التى تؤثر على الإنسان فى لحظة ما، ولها صفة الدوام ولها طابع الدينامى أو التفاعلى أو التعاملى مع الفرد.

ثالثًا : عوامل متنوعة ..

وهى تلك التى أنتجتها البحوث الأكاديمية والدراسات، وتم تجميعها والنظر إليها مجتمعة (بخلاف الوراثة والبيئة) وعلى أهمية كل عامل منها منفصلاً. وهذه العوامل هى:

١- دور المخ فى النشاط العقلى .. وهو فرع من الاهتمام العلمى يبحث فى تحديد مراكز أو أماكن موضع النشاط العقلى فى منطقة اللحاء بالرأس (مثل مراكز الشم أو البصر أو الحركة بالمخ). وقد انتهوا إلى النصف الكروى الأيمن يرتبط بالوظائف غير اللفظية (المكانية). بينما النصف الأيسر أسس النشاط اللغوى.

٢- التغيرات الكيميائية .. وقد تأكد أن المواد الكيميائية لها تأثيرها الواضح على النشاط العقلى .. والمواد الكيميائية إما داخلية من إفرازات الجسم مثل الهرمونات، وأما خارجية من العقاقير أو الغذاء. كذلك احتياج المخ إلى الأكسجين والثيروكسين، ونقص الأكسجين لدقائق يؤدى إلى خلل واضح فى الذاكرة والتركيز وغيره. (والثيروكسين هو إفراز الغدة الدرقية وهام حيث له علاقة بمعامل الذكاء عند الأطفال).

٣- التغذية .. من السهل إدراك العلاقة المباشرة بين التغذية والنشاط العقلى، وخصوصا التغذية أثناء فترة الحمل وأثرها على الطفل بعد ذلك.

٤- الأمراض .. وهى أشبه بما يقال مع أهمية التغذية .. سواء أثناء الحمل أو بعد الولادة.

٥- العوامل المرتبطة بالميلاد .. فالأطفال المبتسرون لا يتأثر النشاط العقلى مع ولادتهم المبكرة (فترة حمل أقل عن ٣٧ أسبوعا)، أما الولادة صيفا أم شتاء فالدراسات أعلنت عن أحكام عامة بالنسبة للأطفال ونشاطهم العقلى فيما بعد.

٦- المستوى الاقتصادى والاجتماعى .. وهو ما يعنى دراسة تأثير الدخل العام للعائل وكذلك مهنته .. وكانت النتائج متداخلة بالنسبة للدخول المتقاربة مع تنوع مهن الأم، ذلك بالنسبة للأبناء محل الدراسة ونشاطهم العقلى.

٧- العوامل المرتبطة بالتعليم .. وجد أن الذكاء يتدهور بتقدم العمر مع الحرمان من التعليم. كما لوحظ أن مؤشر الذكاء يزداد بزيادة نوعية ومقدار التعليم. كما أن التنمية العقلية تستمر مع بعض المهن التى فى حاجة إلى النشاط العقلى مثل التدريس والطب والقانون والهندسة بينما المهن التى لها صفة الروتينية الآلية فيتوقف النمو العقلى.

رابعًا : الفروق بين الجماعات .. وهى تتناول الفروق بين الجنسين، والفروق بين السلالات البشرية.

أولاً : الفروق بين الجنسين .. وهى التى تدرس موضوع الذكاء بين الذكور والإناث.

وقد أعطت نتائج البحوث مؤشرًا بأن كلا الجنسين متماثلين (تقريبًا). إلا إنه تلاحظ أن البنات أفضل فى الأداء فى المرحلة قبل المدرسة. وأن البنين أفضل فى مرحلة المراهقة.

.. عمومًا فى أحد الاختبارات تلاحظ الآتى :

- بالنسبة للخصائص الجسمية، الذكور أكثر تفوقًا فى حجم الجسم والقوة، والإناث أكثر تفوقًا فى الجلد أو الصبر ومعدل النضج وتمييز الألوان.
- بالنسبة للذكاء العام .. لا توجد فروق بين الجنسين.
- بالنسبة للاستعدادات المعرفية .. الذكور أكثر فى الحساب والتصور البصرى. بينما تتفوق الإناث فى الطلاقة اللفظية والذاكرة.
- بالنسبة للتحصيل المدرسى .. تفوق الذكور فى الرياضيات والعلوم والمعلومات العامة والتاريخ والجغرافية، بينما تتفوق الإناث فى اللغات والفنون
- بالنسبة للميول .. يميل الذكور إلى النشاطات النظرية والعلمية والميكانيكية والحسابية بينما يتميز الإناث بالميل إلى النشاطات الجمالية والأدبية والخدمة الاجتماعية.
- بالنسبة للسمات الوجدانية المزاجية .. فالذكور يتميزون بالعدوانية والسيطرة والثقة بالنفس والطموح والاستقلال، بينما الإناث يملن إلى الاجتماعية والانفعالية.

ثانيًا : الفروق بين السلالات البشرية .. لا ينكر أحد بوجود فروق بين السلالات المختلفة، إلا أن هذه الفروق يصعب تحديدها، وما تم من اختبارات كانت بغرض الوصف وليس التفسير ثم التشخيص وليس التنبؤ.

خامسًا : الفروق داخل الفرد الواحد .. لاحظ العلماء أن الطفل الواحد لا تتساوى فيه جميع القدرات، حتى فى المجال الواحد مثل "الذاكرة" .. فقد تختلف

الذاكرة البصرية عن السمعية عن الألوان عن اللفظية .. الخ. ويمثل النمو العقلى أحد أهم هذه الفروق داخل الفرد، ويمكن سرد خصائص الفروق داخل الفرد الواحد بالآتى :

-توزيع الفروق داخل الفرد يتبع فى صورته العامة التوزيع الاعتدالى، أى أن معظم درجات الفرد فى مختلف السمات ينتظم حول قيمة متوسطة.

-يختلف مدى تباين السمات داخل الفرد الواحد من شخص إلى آخر، أى أن المدى ليس ثابتًا.

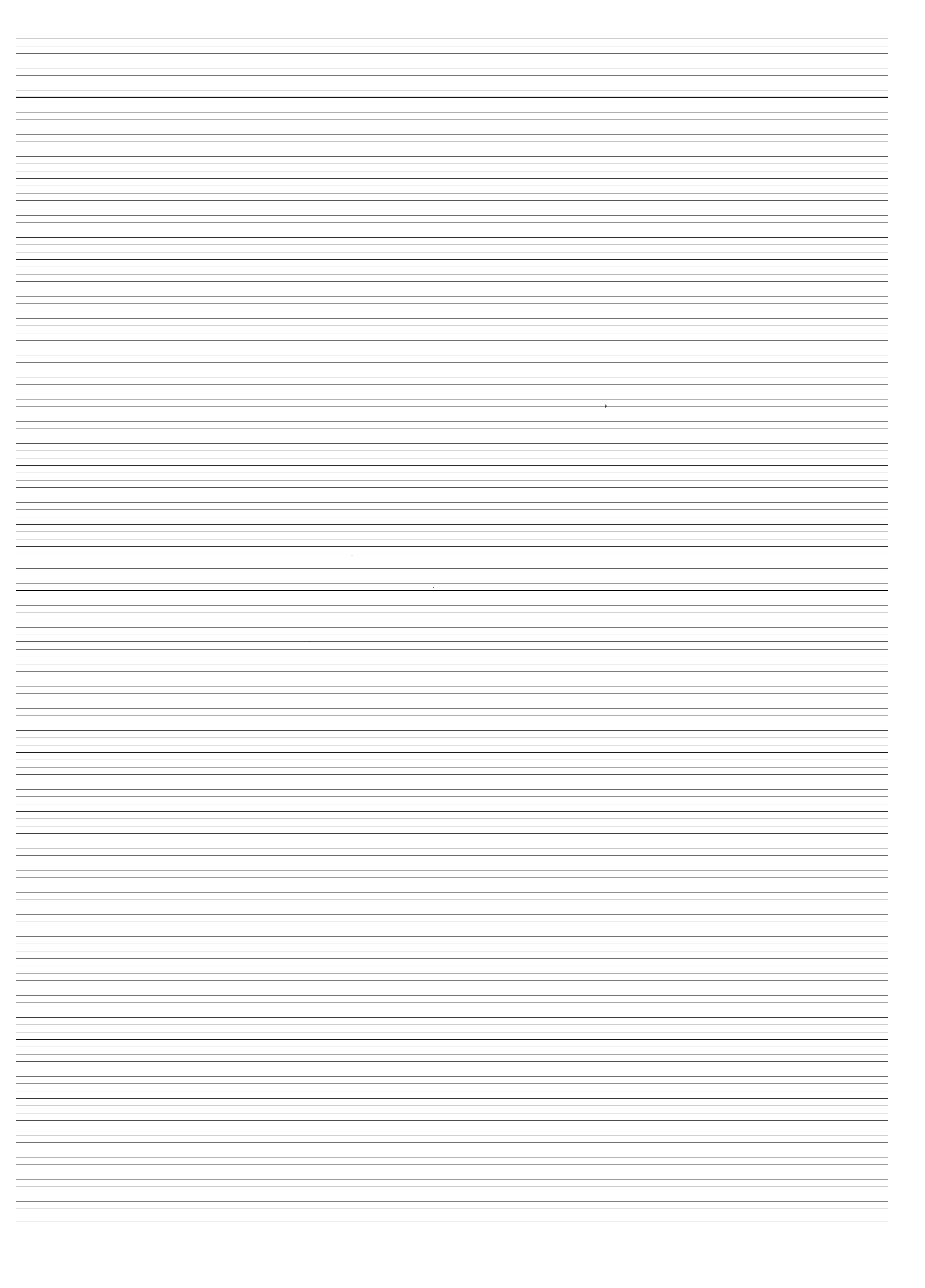
-أكدت بعض الدراسات أنه لا توجد علاقة إحصائية دالة بين مستوى القدرة العقلية ودرجة اختلاف السمات داخل الفرد.

-أكدت بعض الدراسات الأخرى أن العلاقة بين مستوى القدرة العقلية ودرجة التباين داخل الفرد علاقة سلبية أو سالبة، بمعنى أن التباين داخل الأفراد من ضعاف العقول أعلى منه عند المتوسطين فى الذكاء.

-تميل الفروق داخل الأفراد إلى التناقص مع زيادة التدريب وإلى الزيادة مع التقدم فى العمر.

-مقاييس تباين السمات داخل الفرد الواحد تعتمد على معاملات الارتباط بين السمات.

-الاختبارات التى ظهرت لقياس ما يسمى "القدرات الخاصة" أو ما نفضل تسميته "بالقدرات المتخصصة، تفترض أن الارتباط بين ما نقيسه وغيرها من القدرات صفر، بمعنى أن القدرات العالية فى أى مجال (موسيقى - أدب - حركة ..) قد تصحبها قدرة منخفضة فى جوانب أخرى.



الباب الثانى

القرن القادم بين الإبداع والخيال واللغة

الهوية وجوهر التغيير المطلوب .

الإبداع والطفل .

-مستويات الإبداع .

-قدرات الطفل .

-سمات الشخصية الإبداعية .

الخيال فى مجال إبداع جديد للطفل .

-تعريف الخيال .

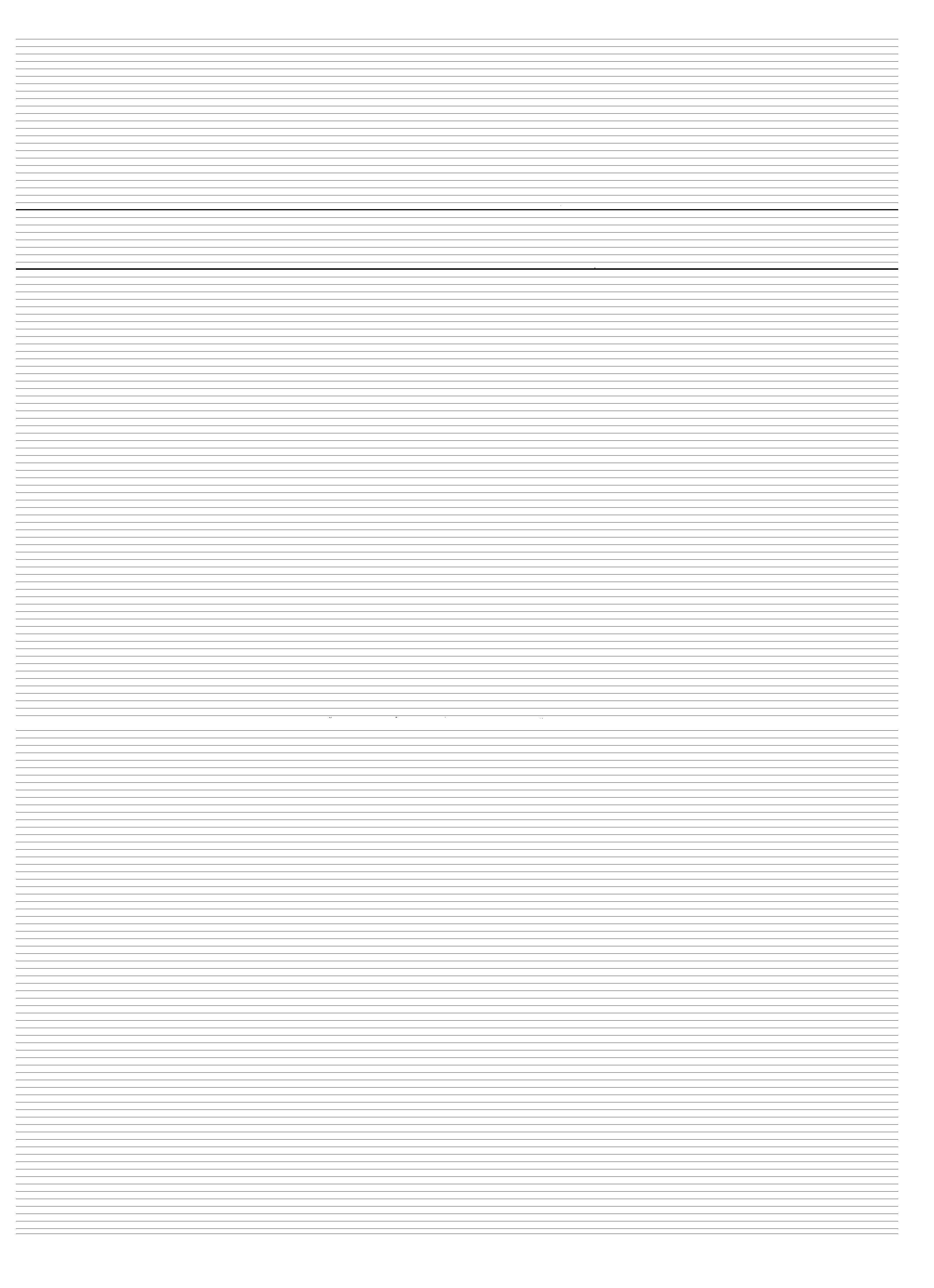
-الخيال والعملية الإبداعية .

-مستقبل الخيال (والخيال العلمى) .

الجمال .. والطفل .

اللغة هى الباب السحرى للمعرفة والفكر .

-مجالات اكتساب اللغة (التعامل مع الآخرين / الراديـو / التليفزيـون / الكومبيوتر / المعاجم / المدرسة / الكتاب / المسرح / السينما) .



.. احتار الكتاب والمفكرون فـي تسـمية وحيـدة تعـبر عـن ملامـح القـرن العشرين، فمن قائل أنه قرن الحروب، وقرن القنبلة الذريـة، وقرن الثـورة العلميـة فـي الاتصالات والتكنولوجيا، ولم ينس البعض من إطلاق اسم قرن الفضـاء والليـزر .. وأسماء أخرى كثيرة.

يبقى الآن ما هو الاسم المحتمل للقرن الحالى ، القرن الـ ٢١ ..؟؟

يرى البعض أن أهم ما يمكن أن يطلق على القرن الحالى، هـو قـرن بلـدان الحدود المفتوحة حيث أصبحت إزالة الحدود سمة ثقافية اقتصادية فى أواخر القرن العشرين . لقد اختفى البعد المسـافاتى من عقلية التفكير الإنسـانى بعد أن كان من أهم متطلبات الأمن الداخلى للدول .

بدأ ذلك بتلك المكتشفات المجهرية التـى أطلعتنا علـى الأفلاك مـن حولنا والمجـهر الالكترونيـة وغـيره مـن المنجـزات التـى تـهاوت معـها معـانى البعـد "بالتليسـكوبات" الحديثـة، وهـذه الوسـائل الناقلـة السـحرية مـن راديـو وسـينما وتليفزيون، وجاء الرادار الذى أتاح للإنسان رؤية أطياف الأشـياء من أبعاد طويلـة .. وكيف ننسى الأشعة فوق الحمراء، والرؤية فى الظلام. وبعد ذلك كلـه وغيره : أليس من المناسب تسميت العصر القادم بعصر بلا حدود ..

هوية وجوهر التغيير المنتظر :

يبدو أن مرحلة الحضارة التى عاشها وأنتجها الإنسان بعد مرحلة التحـول الأولى، أفرزت تلـك الحضـارة الكثير مـن الأمـور المتشـابهة، إلا أنـها أظهرت تباينـات كثيرة أيضًا. وهو ما يمكن رصده إذا ما أمعن المرء النظر فى حضارات مصر القديمـة، الصين، الإغريق، بابل وأوروبا فى العصور الوسطى.

لكن يبدو أن التحول الجديد ومع القرن الجديد لن يـؤدى إلى مـزج هـذه الثقافات أو مزجها، على الأقل خلال الفترات الأولى .. لكن المؤكد هـو قـدر التشـابه فى الوسائل التكنولوجية التى ستبدو متشابهة للغاية.

لقد أشار البروفسور "وتقوجيل" : "إلى أن المؤسسات السياسية والاجتماعية فى المجتمع المتحضر مرتبطة بنموذج الزراعة. فتلك الزراعة التى فى حاجة إلى نظام واسع ومعقد للرى تكون خاضعة للسلطان أكثر من تلك المجتمعات التى تعتمد الزراعة فيها على الأراضى الرطبة ولا تحتاج الأشغال العامة.

وفى المجتمعات ما بعد التحضر ينتظر إلى إنتاج الزراعة للمنتجات الزراعية.. فمزارع الأرز تنتج ثقافة مخالفة للمزارع المنتجة للقمح .. وإن اشتركت الوسائل التكنولوجية بينهما : فالجرار هو الجرار .

لقد بدأت مرحلة الخلط الثقافى معا، فثورة الاتصالات والنقل السريع المتقدم لعب دوره، فالمتابع يلاحظ أن قدرًا كبيرًا من مظاهر وسائل النقل وملابس الناس ووسائل الترفيه بل والساكن وغير ذلك قاربت أن تتشابه بحيث يصعب تحديد فى أية منطقة فى العالم نرى.

ولعل السؤال الآن : كيف نحافظ على قدر كاف من الفوارق فى الثقافة الإنسانية ؟ وهو السؤال الأول الملح فى مرحلة ما بعد الحضارة.

الإبداع والطفل

.. يبدو أنه لكى نقترب من الطفل .. ذلك الكائن المبدع الخيالى، يلزم إلقاء نظرة سريعة عن طبيعة الإنسان الأساسية التى تجعله يتصرف بالشكل الذى يتصرف به.

أما وقد أجمعت الآراء حول هذه الطبيعة ووصفتها بالغموض وأنها سرًا من الأسرار (حتى الآن) .. فالعلم الطبيعى لا يستطيع أن يفسر ما هى حقيقة العقل وكيف يعمل مع المخ؟ وأين يقع الفكر بين أنواع الظواهر الطبيعية؟ على الرغم من كل هذا الكشف العلمى والإنجاز الهائل فى مجالات الفلك والكيمياء والفيزياء وغيرها من عناصر المادة .. فما زال السؤال باق وفى حاجة إلى الفحص والتمحيص. وربما هذا الجانب تحديدًا يدفع علماء القرن الواحد والعشرين للدهشة عندما يروا أن الإنسان قد ترك مشكلته عن نفسه طوال تلك الفترة!! حقًا أن المسألة لم تترك تمامًا كما يظن البعض، فقد شاعت الآراء منها أن الإنسان مكون من قسمين أحدهما مادى (الجسد) والآخر لا مادى (الروح والعقل)، ومع ذلك فلم نجد الباحث عن هوية العقل، كذلك فالكثيرين يستخدمون كلمة العقل بدلا من الروح والعكس، ومع ذلك فبلدان الحضارة الغربية يرفضون (أو يكادون) الطبيعة المزدوجة تلك للإنسان نظرًا لقراءة نتائج بعض العلوم الطبيعية .. وكيف أن السلوك يتبع تأثير إفرازات بعض الغدد الصماء (التى تفرز الهرمونات) بالجسد، وأن الإنسان (الطفل) تتحدد شخصيته أحيانا بقدر فاعلية تلك الهرمونات وهو مجال عمل رجال العلوم الاجتماعية (وبالقطع مع الوضع فى الاعتبار العوامل الأخرى من بيئة ووراثة .. إلخ). خصوصًا وقد تأكد فى علم التشريح أن المخ المهيمن على الجسد ذات طبيعة مادية (من خلايا عصبية) .. والعقل لا سبيل إليه.

ومع ذلك فهناك من العلماء من يتفاءل، فيقول "د. ج. ب. راين" فى كتابه "العقل .. وسطوته" حول قضية هوية العقل :

> "لقد اختلف المفكرون فى أيام "جاليليو" و"كوبرنيكوس" فى ـل ا[illegible]ض مركز العالم أم الشمس؟ وحُسمت المشكلة لا برأى مفروض بل بالبحث، وعلى هذا يجب على المفكر فى زماننا أن يحسم بنفس الطريقة مشكلة السيطرة على عالم الفرد هل هو العقل الخاص المجرب أم مخه العضوى؟".

ولن يكون هذا العالِم إلا بالقرن الحادى والعشرين، الذى سيستقبله طفلنا المهيأ معرفيًا ونفسيًا وربما سلوكيًا لاستقبال الجديد من المعرفة فى القرن القادم.

وهذه النقطة تحديدًا تفرز حيرتها، فلم يعد التلقين والحفظ هو أنسب مناهج التعليم، بدلاً منه البحث والمحاورة وإسقاط اليقين المسبق ليحل محله تهيئة العقل لاستقبال كل المعلومات والمعارف ومناقشتها.

لم تعد المعلومة فى ذاتها هى الهامة بالنسبة للطفل القادم، أهم منها كيف يحصل عليها، بل كيف يولدها من مصادرها الأولية. ثم تطويرها.. لنعود ثانية إلى أهمية الطفل المبدع الخيالى؟!

.. كان إطلاق سفينة الفضاء السوفيتية (قديمًا) فى الخمسينيات والمسماة "سبوتنيك"، سببًا أساسيًا لإعطاء إشارة البدء فى البحث ضمن مجال نشاطات علم النفس لإجراء الدراسات والبحوث حول "الإبداع" كسمة لبعض الشخصيات والتى قد لا توجد عند الجميع، وحتى يمكن العثور على هؤلاء المبدعين للاستفادة منهم فى مجال الفضاء وبحوثه، وأيضًا فى دراسة إمكانية تنميته بل وإكسابه للاطفال.

بدأت تلك الدراسات، وكان "جالتون" الذى اعتمد على المناهج الراسخة والإحصاء فى دراسته التى توجهت إلى دراسة السلالات والأنساب لمعرفة علاقة الأنساب فى تكوين العبقرى المبدع (أى اعتمد على عنصرى الوراثة والبيئة

المشتركة). ثم جاء من بعده من استخدم التراجم الشخصية وتحليلها .. وتعددت الوسائل والاختبارات فيما بعد.

.. ولما كانت النظرة العامة للمبدع أنه يملك قدرات تفوق الإنسان العادى، فقد حرص العلماء على إبراز آرائهم فى تلك النقطة والتركيز عليها لتبسيطها وتقديمها للعامة قبل الخاصة. ويخلص الرأى الجديد فى الآتى :

"إنه ليس هناك اختلاف بين الناس إلا فى درجة وجود هذه القدرات" أى الناس جميعًا يملكون كل القدرات، ولكن بدرجات متفاوتة، وليست فروق فى النوع أو الكيفية.

لكن الاختلاف مازال قائمًا بين علماء النفس على تحديد : من هم المبدعون؟، وقد وصل عدد تعريفات "الإبداع" إلى المئات، ربما يمكن الارتكان إلى رأى العالم "كالفن تيلور" وعرضه لأنه قائم على دراسة كل تلك التعريفات واقترح خمس مستويات للإبداع، وهى :

أولاً : المستوى التعبيرى

وجوهره هو التعبير المستقل .. وهو هنا يقدم صفتا التلقائية والحرية على أنها أهم صفات المبدع.

ثانيًا : المستوى الإنتاجى

وجوهره نمو المهارات وإنجاز الأعمال الكاملة .. وهو هنا يقدم صفة الإنجاز الجاد والكامل للأعمال .

ثالثًا : المستوى الاختراعى

وجوهره أن يمتلك المبدع صفتى المرونة وإدراك العلاقات الجديدة غير مألوفة عن أجزاء منفصلة موجودة من قبل.

رابعًا : المستوى الابتداعى

وجوهر هذا المستوى القدرة على المبدع تحسين الأداء وتعديله إذا لزم الأمر، وهو هنا يقدم القدرة على التجريد وفهم المبادئ الأساسية.

خامسًا : المستوى البزوغى

يعتبر أرفعها وأفضل المستويات ، حيث يتمكن المبدع من إضافة مبدأ جديد تمامًا من تلك المبادىء المجردة الأساسية.

إذن فالقراءة الأولية لهذه المستويات الإبداعية، تكشف عن عدة حقائق. أهمها أننا جميعا نملك قدرًا من القدرات الإبداعية وإن لم نكن على وعى بها (وكذلك الطفل)، وبالتالى علينا أن نتعامل مع الطفل على أنه شخص مبدع (بدرجة ما).

.. ولقد قدم عالم النفس الأمريكى "جيلفورد" مجموعة من القدرات الواجب اختبارها وأيضًا محاولة إزكائها فى الطفل، على أن يكون المتعاملين والكتاب بالتالى (للطفل) على وعى بها اختبارًا وتلقينًا.

تعتمد نتائج أبحاث العالم على فكرة التعامل مع قدرات (الطفل) مع تنوعها وتعددها، وهذه القدرات هى :

أولاً : القدرات المعرفية

وتعتمد تلك القدرات على الكشف العملى واختبار قدرة الطفل فى حالة وقوعه فى مشكلة ما. تلك المشكلة التى تنطوى على مشكلات جزئية وبالتالى محاولة حل تلك الجزئيات ينجز حلا شاملاً .. ويكشف عن القدرة المعرفية للطفل .. سواء فى الكشف عن النواقص والعيوب أو فى الرغبة لإعادة التشكيل حسبما يعمل "الخيال".

ثانيًا : القدرات الإنتاجية

العوامل التى أمكن استخلاصها فى مجال القدرات الإنتاجية يمكن أن نصنفها إلى ثلاث فئات : "الأصالة - الطلاقة - والمرونة "، وهى فى رأى "جيلفورد" هى المكونات الأساسية للإبداع ، ومع فهمها واختبارها من خلال اللعب والحوار المباشر وغير المباشر للطفل، يمكن زرعها واكتشافها وبالتالى تنميتها :

-الأصالة ..

وهى القدرة على إنتاج أفكار وسبل جديدة، وهو من أهم سمات التفكير الإبداعى.

-الطلاقة ..

وهى القدرة على إنتاج عدد كبير من الأفكار خلال فترة محددة، تلك الخاصية التى تعتمد على سرعة استدعاء الخبرات الخاصة وتوليد الأفكار الجديدة معًا.. وتنقسم إلى ثلاثة عناصر هى : "الطلاقة اللفظية"، "طلاقة التداعى"، "طلاقة الأفكار"، "الطلاقة التعبيرية".

-المرونة ..

وهى درجة السهولة التى يغير بها الطفل المواقف أو الآراء والأفكار. وقد قدموا عدة تعريفات للمرونة ، منها : "القدرة على التكيف للتعليمات المتغيرة"، "أو هى القدرة على التحرر من الآثار النفسية السلبية لخبرات سابقة". عمومًا فإن المرونة تعتمد على عاملين هما : "المرونة التكيفية .. وهى القدرة على تغيير الوجهة الذهنية خلال حل مشكلة ما"، ثم "القدرة التلقائية .. وهى القدرة على توليد الأفكار المتتالية أثناء حل المشكلة".

ثالثًا : قدرات التقييم

وقد حدد العالم أربعة أشكال أو وسائل للتقييم ، وهى على الترتيب :

١- التقييم المنطقى ، وفيها يُختبر الطفل (ويدرب) على استنتاج العلاقات المطقية التى تربط بين أفكار ما أو أشكال ما (كأن تقدم صور لعدد من الأدوات المستخدمة فى عملية ما مثل الأكل أو حرفة النجارة .. إلخ).

٢- التقييم الإدراكى ، وهو يعتمد على كشف قوة الإدراك . كأن يدرك الطفل ويتعرف الخصائص التركيبية لمفردات مجموعة من الأشياء، أو تقدير الأطوال.

٣- التقييم الناتج عن الخبرة ، وفيها يختبر الطفل فيما يعرف أكثر ما يختبر فى البحث عن إيجاد علاقات ما، أى أنها اختبارات حول الخبرات السابقة.

٤- تقييم سرعة الحكم ، وهو ليس مجرد سرعة الإدراك بل هو السرعة التى يحكم بها الشخص على شىء سبق له أن أدركه إدراكًا واضحًا.

.. ربما من الأفضل الآن الاقتراب أكثر من الطفل لكشف شخصيته الإبداعية، والاقتراب من سمات الشخصية الإبداعية، وهو جانب هام فى موضوعنا.. فليس من أهداف هذه الدراسة حصر أطفالنا إلى جانب المتلقى السلبى، بل أكثر ما نحرص عليه هو الكشف عن الجانب الإيجابى فى أطفالنا، حتى ولو كان ذلك فى كونه مستقبلاً لمعلومة أو قارئًا لعمل أدبى أو مشاهدًا لعمل فنى. إن طفل القرن الحادى والعشرين إيجابيًا (أو لابد أن يكون كذلك) بالتأمل والفحص والنقد والإضافة إلى كل المعطيات التى نقدمها إليه ظنا منا أنها هى الأفضل فى كل الأحوال.

وفى صدد الحديث عن الإبداع والطفل، تصبح قضية سمات شخصية الطفل المبدع من النقاط الهامة، الواجب تنميتها ليصبح المستقبل الإيجابى والمرسل الإيجابى أيضًا فيما بعد، وبما يتناسب واحتياجات القرن القادم .. الذى يتسم بالمعلوماتية غير المقيدة، وتعقد الوسائل التكنولوجية فى الإنتاج بل وفى الحياة اليومية. كما أننا لا نرجو أن يكون طفلنا العربى القادم مستهلكًا لتلك التكنولوجيا وحسب (كحالنا اليوم).

لذا يلزم البحث فى طبيعة وعناصر تشكيل شخصية الطفل المبدع .. وهو المعنى بمصطلح "السمات الشخصية"، والسمة عند علماء النفس تمثل استعدادًا عامًا أو نزعة عامًا تطبع سلوك الفرد وبالتالى تعين نوعه وكيفيته.

إلا أن البعض اعترض، حيث أن هذا التعريف قد يعنى أن هناك وجودًا للاستعداد فى شخص ما (أو طفل) مستقلاً عن الظروف الخارجية التى من المؤكد لها دورها المؤثر فى السلوك وإلا اتسمت تلك الشخصيات بالثبات فى كل الأحوال.

عمومًا فقد قدم "جيلفورد" مفهومًا يسيرًا، فقال بخطوات نتبعها فنستخلص بعدها فكرة "السمة" دون التورط والزعم بأنها سبب لسلوك أو علة له .. وهذه الخطوات هى :

-الخطوة الأولى .. تأمل السلوك ، ثم نصف السلوك (نفسه) : لقد تصرف فلان الحذر أو الكريم .. إلخ.

-الخطوة الثانية .. تأمل السلوك ، ثم نصف الفاعل : لقد تصرف فلان الحذر أو الكريم.. إلخ.

-الخطوة الثالثة .. هنا نتجه إلى الخاصية أو الصفة المميزة للفرد : أن لدى فلان سمة الحذر أو الكرم.

ويبرر "جيلفورد" منهجه هذا إلى أن السمة لا تلاحظ وإنما الذى يلاحظ هو السلوك، وأطلق على السلوك تعبير "مؤشر السمة".

وهنا يجدر الإشارة إلى أن القدرات العقلية المتضمنة فى التفكير الإبداعى (الطلاقة / المرونة / والأصالة) لم تعد وحدها المحك الوحيد للأداء الإبداعى فى المستقبل حسب رأى البعض، بل يلزم إضافة متابعة سمات الشخصية المزاجية والدافعية التى تحول الإبداع من قدرات عقلية أو استعدادات كامنة داخل الطفل (الفرد) الى أداء ابداعى بالفعل.

وفي مثال عملي قدمه "د. حسن أحمد عيسى" في كتابه "الإبداع في الفن والعلم". يؤكد أنه انتهى إلى (مثلاً) أن سمة الثقة بالنفس ترتبط بالطلاقة وبالأصالة (مؤكدًا أن طبيعة العلاقة بين الثقة بالنفس والطلاقة دائمًا كذلك، ولا يعني ذلك أن الشخص الذي يتصف بالثقة بالنفس دائمًا مبدع بتفوق، أو أن المبدع دائمًا واثقًا من نفسه).

.. وبهذه الإطلالة السريعة إلى "الإبداع"، تكون وجهتنا نحو الطفل (العادي، الذي هو النسبة الغالبة من الأطفال).. لنتعرف على المستوى الإبداعي عنده، ثم نتعامل مع قدراته بهدف تنميتها، والاقتراب أكثر منه لتوجيه تلك القدرات مع ما يناسبها من سلوك لإفراز الشخصية المبدعة بلا افتعال.

الخيال فى مجال إبداع جديد للطفل

.. التخيل والخيال فى الإبداع الأدبى والفنى هو اختلاق صور لم يشهدها الحس بذلك التركيب، وإنما كانت صور أجزائها مما جرده العقل، واحتفظ به فى الذاكرة. يقول البعض أن الفن ثمرة الخيال (أمثال كولردج وردزورث)، وإن اعتبره البعض (أمثال برجسون وديكارت وهوبز) عدو العقل وأم الجنون والأحلام والأوهام والحمى، وأن الخيال هو مملكة الفوضى. (ورد فى كتاب "كولردج" لمحمد مصطفى بدوى) ويشترط "وليم بليك" أن تكون التركيبة الخيالية دالة، ووصف "نيتشة" الخيال بـ "المنتج"، واعتبر "شيلنج" (الفيلسوف) أن الخيال هو وسيلة الإدراك لأية حقيقة، كذلك قال "كيتس" بأن الخيال قوة قادرة على بلوغ الحقيقة القصوى. كما مايز "شيلى" بين الخيال والعقل وكان الخيال هو مصدر المعرفة فى الفن.. قال : إن العقل يحترم الفروق بين الأشياء بينما يحترم الخيال مواضع التشابه فيها . وإجمالاً يقول "مجاهد عبد المنعم مجاهد" : (التخيل هو القدرة على إدراك العلاقات مما يساعد على إبراز الأفكار الجديدة، كما أنه القدرة على إيجاد تناغم بين جميع عناصر العمل الفنى من ناحية المضمون، وناحية الشكل، وهو عنصر شغل دارسى الجمال كثيرًا رغم أنه هو القدرة نفسها على التشكيل (من دراسات فى علم الجمال للكاتب).

ومن "معجم المصطلحات" قال "مجدى وهبة" جملة التعريفات على مر العصور كالتالى :

-هو القدرة المسئولة عن استحضار الصور المرئية المفردة أو المجتمعة فى الذهن.

-هو القدرة على توليف هذه الصور توليفًا جدليًا.

-هو قدرة الفنان على توليفها توليفا خادعًا للعقل.

-هو قدرة الفنان على إسقاط مشاعره فوق موقف أو شخصية اسقاطًا ينتج عن التفاعل المتعاطف معهما.

-هو . كة التى تمكن الذهن من إبداع رموز للمفهومات المجردة.

-هو المرادف الشعرى أو الفنى للحدس التصوفى.

-هو قدرة الإنسان على تشكيل مالا شكل له من غير تدخل من ناحيته.

.. الخيال

يشكل "الخيال" بُعدًا هامًا من أبعاد التركيب البنائى للطفل. ولما كان الخيال من أهم عناصر التكوين "الفنى" و"العلمى" وربما البناء النفسى وبدرجة أكبر الطفل القرن القادم، لذا فالخيال يعتبر من جواهر الاهتمامات بطفل المستقبل.

والخيال هو نشاط ذهنى حين يتحرر من قيود المنطق ومعطيات التجربة، وهو فى نفس الوقت ظل الشىء الواقعى : فهو الواقع بحضوره المنطقى وكذلك إمكانية التجاوز وخلق البدائل من جهة أخرى.

وعلى الجانب النفسى (السيكولوجى) فالخيال هو القدرة العقلية النشطة على تكوين الصور والتصورات الجديدة. وهو ما يعنى أن للخيال أهميته فى عمليات الدمج وإعادة تركيب الخبرات والصور التى تنتمى إلى الماضى أو الذاكرة. وإن الخيال إبداعى بنائى ويتضمن الكثير من العمليات العقلية. وقد يقتصر الخيال خلال مرحلة من نشاطه على القيام بعملية استرجاع واستعادة الماضى ربما للاستعانة به من أجل تشكيل الحاضر والمستقبل.

عموما فإن النشاط الخيالى مزيج من صور وخبرات وتوقعات الأزمنة الثلاثة (الماضى والحاضر والمستقبل) وينشأ بذلك المركب الجديد الذى هو المنتج الخيالى الإبداعى. لكن هناك من يرى "الخيال" Imagination على كلمة

"Image" التى تعنى صورة عقلية. وبعض النظريات تقول بأن الإبداع نتيجة الصور العقلية الموجودة ومخزنة فى العقل اللاشعورى وأن العقل الشعورى يصبح بعد ذلك واعيًا بها، ومن خلال ارتباط هذه الصور معا تنشأ الأنماط الجديدة من الصور والأفكار التى تظهر فى الوعى بصورة مباغتة فيصبنا الدهشة. ولعل هذه الحالة تبدو جلية فى الأحلام والأخيلة والرؤى والهلاوس وكل ما يتعلق باللاشعور.

.. ويجدر الإشارة هنا إلى أهمية الخيال فى العملية الإبداعية عند الطفل (والكبير)، وكذلك فى عملية "التذوق الفنى واستقبال الاحتمالات العلمية .. إلخ".

ففى الحالة الأولى يقوم الخيال بعملية تفكيك وتحطيم لكل ما هو سائد ومألوف، ثم إعادة بناء وتركيب وفقا لوثبات الخيال.

عندما تحدث الفنان الإيطالى "ليوناردو دافنشى" عن الخيال، أخبرنا بأن الخيال هو إعادة صياغة للواقع على نحو مغاير.

ويقول "كولردج" نيابة عن الرومانسيين أنه يؤمن أن الخيال هو القوة الحية والمحرك الأول لكل إدراك إنسانى، وإنه تكرار للعقل الأبدى للخلق فى "أنا" اللانهائى.

أما دور الخيال فى التذوق هو سيطرة مخيلتنا على ما نراه من تعبيرات ونعرف أنها غير قائمة (مثال العرائس فى أفلامهم .. لا يتغير الملمح ولكن بالكلمات نتصور أنها تتغير وننفعل معها).

عمومًا فتجربة التذوق تعتمد على شقين الأول : تجربة حسية محدودة، الثانى: تجربة خيالية غير محدودة. فالاستماع إلى مقطوعة موسيقية فيه جزء استماعى مباشر وجزء تخيلى فيخال المستمع البحر والسماء وغيرهما.

.. مستقبل الخيال ؟!

السؤال المطروح الآن ومع بداية القرن الواحد والعشرين : هل فقد الخيال مكانته بانقضاء زمن الرومانسيين وذهاب الرومانسية؟ فالإيمان بالخيال هو الإيمان

بقدرة الإنسان الفرد على الإبداع وتشكيل العالم بدرجة من الحرية وللتعبير عن الحرية نفسها.

لكن يبدو أن "العقل" فرض وجوده أكثر من اللازم - وهو ما يراه د.جابر عصفور في كتابه "آفاق العصر" - والحقيقة أن كليهما مكملاً للآخر حتى وإن كانت النتيجة سلب الخيال بعض من تأثيراته الساحرة.

وفي ذلك يعرض د. عصفور القضية أو التساؤل بشكل آخر، يشير إلى أننا تعلمنا من "البارودي" إلى "أمل دنقل" ضرورة انضباط الإبداع بهدى العقل، وإيثار الجمال في النظام على الجمال الجمال في الفوضى، وحفظنا الأبيات التي وصفت شعر "أحمد شوقي" بأنه :

تخذ الخيال له براقا فاعتلى — فوق السها يستن في طيرانه
ما كان يا من عثرة لو لم يكن — روح الحقيقة ممسكا بعنانه

كما يرى أن بقدر إمساك روح الحقيقة بعنان الخيال، كان الخيال يتطلع إلى أن يفارقه ويتمرد على حارسة ويتوق إلى رعشة الجنون واندفاعة المغامرة .. وهو نفسه سر الإعجاب بإبداع "أدونيس - علي أحمد سعيد" .. فكان نمط الإبداع الأدونيسي هو النمط المقموع في ثقافتنا العربية الآن خروجا عن النمط الأبوللوني الذي تربينا عليه.

وبعد عرض للمنتج الأدبي المعاصر انتهى د. عصفور إلى نتيجة : غياب سؤال الخيال، في خطابنا النقدي المعاصر والفلسفي بصفة عامة (بالإضافة إلى المنتج الإبداعي) وهو ما يعني غياب سؤال المستقبل كله .. حيث اللا حلم أو المغامرة أو التجريب والاجتهاد، التي تستبدل الاتباع بالإبداع، والتقليد بالابتكار، والماضي بالمستقبل، فتفقد قدرة الخيال على استنزال الغد الآتي بالنجوم الوضاءة على كفيه : الحرية والعدل والتقدم .

الجمال .. والطفل

.. فى البدء كان النافع والمفيد هو المطلوب وليس الجميل . والطفل فى مرحلة ما من بدايات العمر يعبر عن نشأة الإنشائية الفطرية القديمة . لكن حاسة التذوق الجمالى تنمو وتكتسب من الحياة واحتكاك الصغير وسط الجماعة . فيبدأ بـ "الإدراك" فيدرك اللون والصلابة والشكل بل الحركة والسكون، فكثيرًا ما تكون عينى الطفل فى سنينه الأولى هى قرنى الاستشعار ووسيلة الإدراك الأساسية، مثلها فى ذلك حاسة السمع ثم بقية الحواس، والوعى من خلال هذا الجانب الذى يخلو من المنفعة .. هو بالضبط الوعى الجمالى كما عبر عنه "كانت" الفيلسوف الألمانى: الوعى الجمالى هو الوعى المتنزه عن الغرض. إذن فالتذوق الجمالى يكتسب مع الطفل منذ مراحله الأولى.

.. إذا كان الوعى الجمالى عند البالغين يتكون من الجميل (وهو الذى نتحرر من متعته من استخدام الأسلوب النفعى أو الغرضى / كما يقول كانت).. ومن الجليل (وهو ذلك الذى يتجاوز قدرات الإنسان العقلية والخيالية والجسمانية مثل عدد نجوم السماء ورمال الصحراء - .. إلخ).

إذا كان الأمر كذلك عند البالغين، فالوعى الجمالى عند الكفل يقف عند عنصر "الجميل" أو الجمال وحده.

والهام هنا هو ما أشارت إليه د. وفاء إبراهيم (فى كتاب الوعى الجمالى عند الطفل)، ضرورة التعامل مع الوعى الجمالى عند الطفل من خلال الجمال وليس الجليل، لأن الطفل يقدم الجميل قبل الجليل بالفعل، وتقول :

"ويبدو أن هذا التقديم للجميل فى وعى الطفل عن الجليل يشير إلى الكيفية التى يمكن من خلالها الوصول إلى المعنى "الحقيقة الإلهية" دون غرس

الخوف والرهبة فى نفس الطفل، وإنما من خلال رصد الجمال فى الأشياء والكون من حوله..".

وتستشهد الكاتبة بعدد من الآيات القرآنية التى تكشف عن أن الجمال فى تنظيم ... وتصميمه مقصود وليس شيئا بلا معنى. مثل قوله تعالى :

"لقد زينا السماء بمصابيح" .. سورة الملك / آية ٥ .

"الذى خلق سبع سموات طباقا ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت، فارجع البصر هل ترى من فطور" .. سورة الملك / آية ٣.

"ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به الثمرات مختلفا ألوانها، ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانه كذلك" .. سورة فاطر/ آية ٢٧ - ٢٨.

.. والجدير بالذكر أن تنشيط الوعى الجمالى وإكساب الطفل التذوق الجمالى المطلوب لا يعتمد على جهة واحدة أو جانب وحيد من جوانب رعاية الطفل : فالأم والأب فى المنزل .. والمدرس أو المدرسة بالمدرسة .. ثم عناصر وسائل الإعلام المختلفة ، كلها تتعامل معًا وتكمل بعضها البعض.

.. عمومًا فيجب على القائمين على رعاية الطفل فى مجال تنمية التذوق الجمالى الوعى بإبراز التالى :

يمكن حصر مجالات الجمال الأساسية فى .. اللون / الضوء / الصوت / الحركة / الإيقاع.

وحتى عمر الـ ١٨ شهر من العمر تكون العين والأذن أقل قيمة من اليد والأسنان. ومع مرحلة الزحف والمشى يبدأ الطفل فى اكتشاف عالمه الخاص الجمالى من خلال اللعب .

خبرة اللعب تختلف عن الخبرة الفنية .. وإن جمع الخيال بينهما، إلا أن الخيال في الفن غيره في اللعب، ويقول "أرنست كاسيرر" بثلاثة أنواع من الخيال: (قوة الابتكار – قوة التشخيص – قوة إيجاد صور حسية).

وفهم تلك الحقيقة هامة في تنشأة الطفل، ويقول "اتين سوريو" بحاجات جمالية كثيفة في مرحلة سنية أكبر من السابقة . مثل جمع الأشياء الصغيرة، التوجه إلى الأشياء أو الطبيعة لاكتشافها .. لذلك فإن توفير هذه العناصر تساعد على النمو التذوقي الجمالي في الطفل.

ثم مرحلة المدرسة وعلاقتها بالوعي الجمالي .. وهي مرحلة تعتمد على توعية المعلم قبل الطفل بأهميتها وبقيمتها التربوية وتنشأة الطفل.

مثال .. القاعدة الجمالية تؤكد أن الأشكال قد تتغير أما الثابت فهو "الموضوع"، وهذه القاعدة من جوهر حقيقة الفن عمومًا. وفي حالة ممارستها وتلقينها للطفل في علم الحساب مثلاً، يمكن تقديم المسائل الرقمية على الشكل التالي :

١٠ × ٢ = ٢٠ = (٤ + ٦) × ٢ = ٢٠ أو (١٠ ÷ ٢) + ١٥ = ٢٠

وهكذا يمكن تطبيق نفس القاعدة ببقية العلوم على أساس من المنهج التربوي الموضوع سلفا. كما يمكن تصمم على أساسه المناهج .. ويصبح المعلم على وعي بها فيضيف ويبرز الدلالة المطلوبة.

كما أن التثبيت والتكرار من العناصر الهامة في تدريب الطفل على معايشة واكتساب ميزة نشاط التذوق الجمالي، ومنذ الأيام الأولى من الولادة، وفي كل مرحلة متابعة ممارسة له يخصها.

ويقول د. يوسف مراد في كتابه "علم النفس في الفن والحياة" بإضافة قاعدة هامة قد لا تخطر على ذهن الكثيرين، ألا وهي أن يحاط الطفل بجو الهدوء النفسي وإشاعة الطمأنينة في البيئة التي يعيش ويلعب فيها.

لعله من المناسب الآن الإشارة إلى مراعاة وتنمية التذوق الجمالى للطفل لا يعنى الدعوة إلى جعل كل الأطفال فنانين وأدباء وموسيقيين .. إلخ، الغرض الأسمى هو جعل الطفل - الذى هو رجل وامرأة المستقبل - قادر على الاستمتاع بحياته، قادر على تجميل الحياة من حوله له ولغيره، قادر على الابتكار والإبداع والتخيل وكلها سلسلة من الحلقات متصلة غير منفصلة ومتعلقة بحياة الإنسان العملية أيا ما تكون مهنته أو شكل حياته العملية، وبذلك يصبح عضوا منتجا إيجابيًا خلاقًا فى زمن القرن الذى يعتمد أكثر ما يعتمد على المعلومات والمعارف المتنوعة.

اللغة هى الباب السحرى للمعرفة والفكر .. عند الطفل

.. اختلفت التعريفات والمفاهيم بالنسبة لـ "اللغة"، وهناك البعض الشائع، منها تعريف "روى هجمان، اللغة والحياة والطبيعة البشرية" : "هى قدرة ذهنية مكتسبة، يمثلها نسق يتكون من رموز اعتباطية منطوقة، يتواصل بها أفراد مجتمع ما ".. أى أن اللغة قدرة ذهنية تتكون من مجموعة المعارف اللغوية والأصوات والقواعد، تتولد وتنمو فى ذهن الفرد فتمكنه من إنتاج العبارات والكلام والكتابة .. وهذه القدرة تكتسب ولا يولد الإنسان بها .. وتكون على أنساق صوتية ودلالية وإعرابية ونحو ثم النسق المعجمى أى جملة المفردات القادرة على التعبير. وإن هذه اللغة أداة توصيل وتواصل بين أفراد المجتمع.

بذلك تكون اللغة وسيلة اجتماعية للتواصل، وأيضًا هى وسيلة إلى تنمية الأفكار والإبداع مع السعى لتحقيق حياة أفضل. ولا يتوقف دورها على توصيل المعلومة بل يمكن بها إثارة الأفكار والانفعالات وتدفع إلى التفكير والحركة.

وقد قال بعض العلماء بأن النمو العقلى للإنسان منوط بنموه اللغوى، أى تلعب دورها البارز فى نمو الإنسان الذهنى وصنع الحضارات بالتالى .. وهذا الجانب أكد عليه "د. إشلى مونتاكو" فقد قال : "أن الواسطة المهمة التى يتحضر بها الإنسان إن هى إلا نظام من الرموز يتوسط بين المؤثر والمتأثر، وهذا النظام هو اللغة".

(مع الوضع فى الاعتبار أن مفهوم اللغة العام .. هو جميع صور التخاطب لفظى وغير لفظى، والمعنى بهذه الوقفة هى اللغة اللفظية).

.. ولما كان الاتصال الاجتماعى هو العملية التى ينتقل بها المعلومات والخبرات بين الأفراد فيه، أيضًا تثرى اللغة من حيث هى مفردات وأنساق وأفكار

وخبرات. ولأن الطفل هو النبتة الأولى الاسفنجية والقادرة على الاكتساب والإضافة.
فإن الطفل عمومًا يكتسب لغته ومعرفته بواسطة عدة وسائل هى :

أولاً : التعامل مع الآخرين

يبدأ الطفل اتصالته بوالديه وأفراد أسرته. ثم بأقاربه وأفراد مجتمعه. وتتسع الدائرة إلى دوائر عديدة بمرور الزمن.

إلا أن اكتساب المهارات اللغوية تتوقف على الفرد نفسه (الطفل) وعلى عناصر أخرى. فتزداد الحصيلة اللغوية مع المستوى العقلى والذكاء الأعلى ثم وجود موهبة التقاط المفردات .. ثم أيضًا بالفئة التى يتصل بها الطفل فالفئات الاجتماعية لها مفردات تبدو شديدة الاختلاف أحيانًا، حسب اعتبارات ثقافية واقتصادية.

ثانيًا : "الراديو" المذياع

يعد جهاز المذياع من أهم وسائل الاتصال واكتساب اللغة والمعارف: من حيث ألفاظ اللغة قديمها وحديثها، فصيحها وعاميها .. أما المعارف فهو يملك ميزة خاصة دون التليفزيون ألا وهى التركيز على الصوت وتنمية الخيال لعدم توافر الصورة مع المعلومة أو حتى العمل الدرامى المسموع.

وإذا كان هناك البعض من الدارسين والمفكرين يرون أهمية وسائل الاتصال غير المباشرة مثل المذياع والتليفزيون وغيرهما.. فإن التليفزيون يعتبر أكثر هذه الأجهزة خطورة خصوصًا على النشء. هؤلاء الأطفال الذين يكتسبون الكثير من مفردات لغتهم ثم طريقة النطق ثم توظيف تلك المفردات من مشاهدة التليفزيون ربما أكثر من غيره من الأجهزة الأخرى.

ثالثًا : التليفزيون

.. ربما أغلب الاختراعات العلمية .. كلها. تؤدى إلى بعض التغير المحدود.
ما أن يمر الزمن حتى تشارك تلك الاختراعات الى تغييرات جوهرية فى حياة الناس.

بحيث يلزم معها إتمام الدراسة والتأمل الدورى ووضعها قيد البحث العلمى لمتابعة أثرها وتأثيرها: إن سلبًا أو إيجابًا. ومن تلك الاختراعات .. ذلك الصندوق السحرى القادر على أسر أهم حواس الإنسان من البصر والاستماع معا، ألا وهو التليفزيون.

خلال العقود البعيدة من القرن العشرين وحتى عقود معدودة، كان الطفل العربى منحازا إلى عالم الكبار وتابعًا له .. يجلس مجلسهم ويقلد ما يجده على طرف ألسنتهم وفى سلوكهم ونادرًا ما تكون للطفل مفرداته الخاصة وعالمه المميز بين أنماط الحياة المتشابهة فى أغلب أقطار العالم العربى.

ومع تأمل العقود الثلاثة الأخيرة (تقريبًا – وهو ما يحتاج إلى دراسة علمية مدققة) سوف نجد مع المتغيرات التى هى محصلة بعض الظواهر والمداخلات على نمط الحياة الاجتماعية. سواء بانتشار التعليم وإلزام الطفل بقضاء حوالى ست ساعات يوميًا بالمدرسة، وهى فترة قابلة لكل من الزيادة والنقصان معًا .. ثم انتشار وشيوع وسائل ترفيه جديدة أو لنقل وسائل إعلامية جديدة .. ومن تلك الوسائل هو "التليفزيون".

نعم ، مازلنا فى حاجة إلى من يستطيع أن يقدم لنا الأرقام التقديرية والمعتمدة على المناهج البحثية العلمية .. ليقول لنا ويخبرنا : كم من الوقت يمضيه الطفل أمام شاشة التليفزيون؟ وأمام هذا السؤال سوف تتولد العديد من الأسئلة بالضرورة : ما تأثير هذا الجهاز على فكر وسلوك الطفل؟ كيف وقد تعاظم دور التليفزيون، كيف يصبح وسيلة إضافية لتنشئة مواطن ناضج وإنسان سوى وقادر على الإنجاز .. ولا يكون سلبيًا مكتفيًا بالاستقبال والرؤية ثم الثرثرة بعد ذلك؟!

.. إن دوافع رؤية التليفزيون عند الأطفال تختلف عنها عند الكبار، فقد يرى الكبار فيما يرون شكلاً من التسلية وحسب، بينما الصغار .. بالإضافة إلى التسلية، فهم يرون فى المشاهد والصور والموضوعات وسيلة لاكتشاف العالم .. إما واللبس ذ فيما يرون من الفصل بين ما هو خيالى وما هو حقيقى . لذا يعد التليفزيون أكثر تأثيرًا على الصغار .. ومع ذلك يبقى دور التليفزيون معلقًا غامضًا إن لم يدعم بالأسرة

والمدرسة، ففيهما ومعهما تستكمل المعلومة أو تبرر أو لنقل التفسير والإفصاح عما يراه الطفل.

لكن السؤال الذى طرح فى الولايات المتحدة الأمريكية فى الثمانينيات: هل "التليفزيون سارق للوقت؟.. هل يصح أن نطرحه بدورنا الآن فى العالم العربى.. وخصوصا بالنسبة للطفل؟! يبدو إن الإجابة على السؤال مثل أسئلة كثيرة ومتجددة أخرى كلما تعمقنا فى الموضوع.. يبدو أنها فى حاجة إلى بحوث تخصنا وحدنا، بل تخص كل قطر عربى دون غيره، لاختلاف المناخ العام والملابسات التى تتعلق بالتليفزيون من قطار إلى آخر .. وهنا تبرز أهمية البحوث الأكاديمية بالكليات المتخصصة فى أمور التربية والاجتماع. وتصبح الإحصاءات والنتائج البحثية الأمريكية أو الأوروبية (مرجعًا) مؤقتًا للاسترشاد!

وتفيد الإحصاءات الخارجية أن متوسط قضاء الطفل أمام شاشة التليفزيون هى أربع ساعات يوميًا، وهى نسبة مرتفعة بلا شك .. (حتى أنهم ربطوا فى الولايات المتحدة بين بدانة الأطفال كمشكلة قومية هناك ، ومشاهدة التليفزيون .. لأسباب منها تناول الأطعمة أثناء المشاهدة، إعلانات الأغذية بشكل جذاب ولافت.

ويمكن الآن (بعد مئات الأبحاث التى أجريت) القول بأن الطفل متلقى سلبى من جهاز التليفزيون .. وتأكد أن الأطفال المواظبين على مشاهدة التليفزيون، يقومون بمحاكاة الكبار التى يرونهم على الشاشة – وخاصة المواقف العاطفية –. وكذلك يتأثرون بأنماط الشخصيات التى يعرضها التليفزيون : رجال الشرطة. المرضى النفسيين، الشخصية الشريرة .. وغيرها.

.. لعله من المناسب الآن التعرض لإحدى الدراسات التربوية الأكاديمية التى تدرس العلاقة بين الطفل والتليفزيون .. وقامت بها د. سامية أحمد على. بعنوان "الفكاهة التليفزيونية وجمهور الأطفال .. دراسة ميدانية".

تتلخص فروض هذه الدراسة فيما يلى :

١- أن الأطفال يقبلون على المواد الفكاهية أكثر من غيرها (خصوصًا فى الشكل الدرامى).

٢- قلة الاهتمام بتقديم مادة فكاهية للأطفال (خصوصًا) على شاشة التليفزيون.

٣- تلاحظ أن إقبال الأطفال على مشاهدة كوميديا الكبار أثره الإيجابى والسلبى.

٤- أن مشاهدة الأطفال للفكاهة تساعدهم على الإقبال والتحصيل.

٥- أن المواقف السلوكية المضحكة تدعم التلقين لدى الطفل بإزاء هذا السلوك السيء أو غيره.

٦- دراما وبرامج الأطفال المقدمة الآن فى حاجة إلى تطوير (تمت الدراسة عام ١٩٩٤م).

٧- إقبال الأطفال على مشاهدة البرامج التى تتضمن عناصر الترقب والإثارة والضحك والمعلومات أكثر من إقبالهم على أية عناصر أخرى.

.. وللإحاطة الخارجية للموضوع، وجدت الدراسة بعض العناصر الهامة الواجب مراعاتها بالبرامج والدراما المقدمة للطفل والتى تتسم بالفكاهة وهى :

-أن للألوان الزاهية تأثيرًا مفرحًا عند الطفل (كثيرًا ما ينظر الأطفال إلى قرص الشمس أو إلى البدر كاملاً ويتهلل وجوههم بابتسام والضحك.

-الألوان اللامعة المتوهجة لها سحر يرسل البهجة إلى النفوس كقطع البللور، الورق الفضى، الكرات الزجاجية الملونة.

-أن الصدمة الخفيفة أو المفاجأة (والتى لا تثير الخوف أو الرعب) تضحك الطفل.

-إمكانية توظيف الأنغام الموسيقية والأصوات المفاجئة فى برامج الأطفال.

-أهمية عنصر "التكرار"، ففى أول مرة يكون للمؤثر أثرًا بالدهشة، سرعان ما يتحول بالتكرار إلى الابتسام .. ثم الضحك.

-أن نموذج "البخيل" أكثر أنماط الشر مثيرًا للضحك، ثم "الدعى"، ثم "الغبى"، ثم "الطماع والطفيلى"، ثم "الشخصيات ذات العيوب الجسمانية مثل القصير جدًا".

-أن أفلام "الكرتون" أو الرسوم المتحركة تحتل المركز الأول فى إقبال الطفل للمشاهدة عموما والموضوعات الضاحكة خصوصًا.

-الأفلام السينمائية تلقى قبولاً أفضل من البرامج التليفزيونية عند الطفل.

-البرامج المثيرة (مثل عروض السيرك المصورة) تلقى أولية تالية لأفلام الكارتون والأفلام الكوميدية السينمائية.

-تأتى المسرحيات الكوميدية فى المرتبة الرابعة، على الرغم من الدارسة قدمت السؤال حول ما يمكن عرضه على شاشة التليفزيون وليس بالذهاب إلى المسرح.

-جاءت برامج المعلومات فى المرتبة الخامسة التى يفضلها الطفل

-وبالنظر إلى تلك المعطيات يمكن أن نجزم بأهمية الدراسة الأكاديمية فى هذا المجال، كما يمكن عرض موجز للدراسة الميدانية ونتائجها بالتالى :

.. وفى دراسة تجريبية على أثر التليفزيون على النشء، لوحظ الآتى :

-الطفل الذكى حتى فى سن ١٠ - ١١ سنة يتحول إلى الفكاهة وبرامج المنوعات الاستعراضية لتوافر الحركة التمثيلية وفرص الضحك.

-فى فترة المراهقة يتحول المراهق لمشاهدة البرامج التى تتضمن الإثارة، والضحك، والمعلومات.

-بدراسة ميدانية تبين الآتى : (الاستعراضات الفكاهية مفضلة لدى أصحاب السن ١٣ - ١٤ سنة .. عند الذكور ٤٣٪، والإناث ٤٥٪ وفى سن ١٠ - ١١ سنة .. عند الذكور ٣٥٪، والإناث ٢٧٪.

أما الفكاهات العائلية "دراما عائلية خفيفة" تلى الاستعراضات، عند الذكور بنسبة ٢٤٪، والإناث ٥٣٪ لسن ١٣ - ١٤ سنة / وفى سن ١٠ - ١١ سنة ١٤٪ عند الذكور، ٢٣٪ عند الإناث).

النقطة السابقة تعنى أن الأطفال يميلون إلى برامج الكبار، وهذا مع البنود الأخرى يدفع القائمين على تخطيط البرامج بالتليفزيون مراعاة ذلك.

.. ولقد أشارت الدراسة إلى أن العوامل التى تحدد اختيار الطفل للبرامج، إلى جانب الذوق والأفضليات. تشمل : مقدار المشاهدة ومدى تكرارها، نوعية البرامج الخاصة بالطفل ومستواها على القنوات المختلفة، أيضًا نفوذ وسلطة الوالدين فى اختيار القنوات والبرامج. كذلك الوسائل الجاذبية المضادة للتليفزيون داخل البيت أو خارجه، مثل العطلات والإجازات، والمباريات الرياضية و .. إلخ.

لعل النتائج الإحصائية للدراسة، أشارت إلى العديد من الملاحظات الهامة، هى :

-أن الموعد المفضل (أثناء فترة الدراسة) لمشاهدة التليفزيون عند الأطفال من ٧ - ٩ مساء.

-أن الموعد المفضل (أثناء فترة الإجازة) لمشاهدة التليفزيون عند الأطفال من ١١- ٢ ظهرا، ثم فى الفترة المسائية من ٩ حتى نهاية السهرة.

-احتلت أفلام الكرتون والرسوم المتحركة المرتبة الأولى فى اهتمام الأطفال.

احتلت الأفلام الضاحكة المرتبة الثانية، ثم برامج المغامرات، ثـ المسرحيات الضاحكة، وأخيرًا برامج المعلومات الخفيفة فالمنوعات.

.. ترجع أهمية هذه الدراسة إلى ندرة البحوث في مجال فكاهة الطفل، وعلاقتها بالتليفزيون .. أخطر وسيط داخل البيت، ومنافس السلطة الأبوية التقليدية داخل الأسرة في العصر الحديث!!

الجوانب السلبية في الإذاعة والتليفزيون :

.. على الرغم من أهمية جهازي "التلفاز" و"المذياع"، للدارسين رأي يستحق التسجيل، بوجود بعض القصور الواجب تلافيها أو على الأقل الوعي بها كخطوة أولى ، وهي :

١- استخدام اللغة البسيطة أو ربما العامية بتلك الأجهزة يقلل من هدف استخدامهما كمصدر لزيادة الحصيلة اللغوية.

٢- تكرار تراكيب ومفردات بعض البرامج، يعد حاجزًا آخر .. ففي العادة تكون "نشرة الأخبار" مثلا على نسق أسلوبي ثابت.

٣- عادة ما يكون الحوار من طرف واحد، والطفل هو المستقبل السلبي، وإن لم توظف الألفاظ والتراكيب التي سمعها تفقد قيمتها.

٤- قد لا ينتبه الطفل لسياق الكلام المنقول عبر الجهازين، حيث تشده أكثر تلك الصور والألوان والموسيقى المصاحبة للبرنامج.

٥- قد يعجب الطفل بما يقدم من الأغاني وغيرها .. بينما تلك المواد الإذاعية أو التليفزيونية أقل مما يجب أن يعلق في ذهن الصغير.

٦- جهاز التليفزيون تحديدًا يهدد ذلك الرابط الأسري المرجو في حالة تواجد أفراد الأسرة معًا، فبدلاً من التحاور والمناقشة، يتحول الجميع الى عينين وأذنين منعزلة.

٧- اعتياد مشاهدة التليفزيون قد يحول الطفل (أو حتى الكبار) إلى كائن سلبي، حتى أن إحدى الباحثات "مارى وين" قالت : "هل هذا التلفاز حقيقة أو مخدرات؟".

٨- قد تتسرب عبر الجهازين بعض العبارات أو التراكيب (وكثيرًا ما يحدث خصوصًا فى الأعمال الدرامية والمشوقة للطفل) وهذه الصياغات والتراكيب بعيدة عن اللغة الصحيحة.

رابعًا : الكومبيوتر أو الحاسوب واللغة ..

بات لهذا الجهاز مكانة خاصة فى مجالات عديدة من الأنشطة العلمية والاقتصادية وغيرهما كما هو الحال فى مجال التعليم والتثقيف، خصوصًا بعد طرفة إنتاجه وعلى عدة أشكال "الدوائر التليفزيونية المغلقة"، "الميكروكمبيوتر" .. إلخ.

ودخل الجهاز فى بحوث اللغة وفى تعليمها وكونه يعتبر معجمًا فى بعض الأحيان وغير ذلك من المجالات الجديدة التى دخلها نشاط هذا الجهاز الهام. ومع ذلك فمازال الجهاز محدود النفع ومع عدم إغفال أهميته فى المستقبل حيث يتوقع شيوعه إلى حد غير تقليدى، ولا يمكن بالتالى إغفال أهميته للطفل.

خامسًا : المعاجم ..

مع تعدد أنواع المعاجم، ودرجة صعوبة التعامل معها .. يلزم تلقين الصغار طرق التعامل معها .. كما يلزم الانتباه إلى المعاجم المبسطة والتى صدر منها مثلاً: "معجم الطالب" لجرجس همام الشويرى، و"المعجم الوجيز" عن معجم اللغة العربية بالقاهرة. لكن ما أنتج لا يفي بالمطلوب من مخاطبة المراحل المختلفة للأعمار كل حسب مرحلية السنية.

سادسًا : المدرسة ..

لم تعد المدرسة هى مكان تلقين العلوم، بل أصبحت مجتمعا موازيًا للمجتمع الخارجى. وفى مجال اللغة هناك العديد من النقاط الواجب مراعاتها وهى:

١- فكرة التداخل اللغوى .. أى أن يتعامل المعلم مع التلاميذ على مناقشة وطرح كل ما سبق دراسته على أنه طرح جديد ومكمل للمناهج للسنة الجديدة وهكذا.

٢- التركيز والاهتمام باللغة العربية باعتبارها اللغة الأم حتى مع احتمال تدريس لغة أخرى.

٣- أهمية شخصية المدرس الذى له أكبر الأثر على التلميذ الصغير سلوكيًا وعلميًا.

٤- ضرورة أن تكون المناهج الدراسية على صلة حياتية مع التلميذ، أى أن تجعله ينظر إلى البيئة من حوله.

٥- استخدام المفردات والتراكيب واللغة السهلة المباشرة والمعبرة التى لا تجعل الطفل يشعر بالنفور من لغته.

٦- أهمية الحوار فى تعليم دروس اللغة.

٧- عقد المسابقات الأدبية واللغوية.

٨- للإذاعة المدرسية (كما فى صحيفة الحائط) أهمية كبرى فى تطوير أساليب الصغار وإثراء مفرداتهم اللغوية .

٩- كما أن للمكتبة المدرسية دورها الهام والواجب وضعه ضمن الخطة التعليمية.

١٠- تعليم الصغار وتعويدهم الرجوع إلى المعاجم المتاحة لتعويدهم التعامل معها.

١١- تشجيع القراءات الحرة بالوسائل المختلفة.

١٢- استخدام الوسائل الجديدة مثل الدوائر التليفزيونية والكومبيوتر.

إجمالاً هناك العديد من النقاط الواجب ملاحقتها فى مجال المدرسة كمصدر لتعليم وتلقين فنون اللغة ومفرداتها.

سابعًا : الكتاب والدوريات ..

.. يعد المادة المقروءة سواء على شكل كتاب أو غيره هى من أهم وإن لم تكن أهم المواصلات بل والحافظات على اللغة، وعلاقة الطفل بتلك المادة المقروءة هى فى الحقيقة العمود الفقرى الذى تشكلت حوله (على الأقل خلال الزمن الماضى وفى كل الحضارات تقريبًا)، أما عن مستقبل الكتاب وكل المواد المقروءة فهذه قضية أخرى.

وترجع ميزات هذه المادة المقروءة إلى الآتى :

١- المادة المقروءة فى كتاب هى فى الحقيقة كنز باق على مدى الزمن، ومنها ما عرفناه عن عصور وعهود قديمة، فتعايشنا مع اللغة فى مراحلها القديمة وكيف كانت على مدى الزمن.

٢- سهولة نقل الكتاب وبالتالى القراءة السهلة فى أى مكان.

٣- رخيص السعر مقارنة ببقية الوسائل المعروفة الآن من وسائل الاتصال ومصادر المعرفة.

٤- لا يحتاج فى استخدامه إلى مهارات فنية وملكات خاصة.

٥- كما يعد الكتاب مصدرًا لتقديم المعرفة اللازمة لتشغيل الوسائل الأخرى مثل الكومبيوتر وغيره.

.. إلا أنه يجب القول أن التحصيل اللغوى مع المتاب يتوقف على بعض العناصر الضرورية .. مثل طريقة القراءة، نوعية المادة المقروءة وقيمتها الفكرية، خلفيات القارئ الثقافية، بالإضافة إلى الظروف الاقتصادية والاجتماعية.

وهناك نمط الكتابة العلمية التى خلقت أسلوبها (مثل لغة الرسائل العلمية والتقارير)، حيث يجب أن تتوافر فيها الآتى :

١- استخدام الألفاظ الحسية دون التجريدية.

٢- تفضيل الجمل القصيرة.

٣- الاختزال فى استخدام الألفاظ.

٤- يفضل الألفاظ الشائعة دون المعجمية.

٥- استعمال الأفعال المتعدية.

٦- يفضل عدم الإسراف فى الصفات .

٧- تفضيل البناء للمعلوم على البناء للمجهول.

٨- عدم استخدام اللفظ ذو المعنين.

(هذه الضوابط قال بها د. عبد الصبور شاهين).

ثامنًا : المسرح

يعتبر المسرح من أهم السبل للوصول إلى عقل ووجدان الطفل. المقصود هنا هو ذاك المسرح الذى يقوم بالتمثيل فيه هم الأطفال أنفسهم، فضلاً عن أنه موجه إلى الطفل. ولما كان واقع مسرح الطفل فى العالم العربى أقل كثيراً عما يرجوه رجال التربية وأصحاب طموحات القرن الجديد .. لذا كانت تلك الوقفة السريعة.

إذا كان المسرح بالعموم من الفنون الهامة، فإن مسرح الطفل منه على درجة أهم من عدة جوانب. لأن تنشئة الطفل على التعامل مع هذه التقنية كفيل بتدريبه على كيفية التعامل مع الآخر وترسخ لدى الطفل حب هذا الفن الراقى وتحويل المقررات الدراسية إلى اللعاب معرفية يتداولها الأطفال فيما بينهم بطريقة حيوية ولا تعتمد على الحفظ والتذكر. كما أن ترسيخ القيم الأصيلة فى المجتمع يتم طرحها على خشبة المسرح بلا تلقين مفتعل ومتعمد. ليس المقصود بأهمية المسرح الجانب الفكرى فقط، لأن اللعب من أهم النشاطات الإنسانية عند الطفل والمسرح عند الطفل من الممكن أن يصبح لعبة محببة. وقد اصطلح على أن تكون مسرحية

الطفل مجموعة من الألعاب (ألعاب إيهامية، وألعاب التظاهر، وألعاب الدراما الاجتماعية .. وغيرها).

النظرة التربوية ترى فى اللعب نوعًا من الفنون يمزج فيه الخيال بالواقع، كما أن اللعب نوعًا من التنفيس عن طاقة الطفل الذى يدفع الصغير لحب الحياة والاستمتاع بها، وهو ما يدفع إلى الانتماء والسلوك السوى.

أن تعامل الطفل بممارسة ألعاب الدراما الاجتماعية تعتبر تدريبا على تكيف الأطفال لمتطلبات الذكورة والأنوثة .. فتقليد الطفل للكبار فى الأعمال المسرحية التى يؤديها الطفل مع متابعة الأطفال (المشاهدين) يزكى تلك المواصفات، وتدريبهم جميعا على مواجهة الصراع أو عقدة المسرحية .

ثم يأتى دور الكاتب الذى يعد من أهم الأدوار، هناك نوعان من الكتابة والكتاب. أولهما الشاعر والقصاص أو المبدع والآخر هو الباحث الذى قد يكتب نموذجا واحدا يعبر عن وجهة نظر ضرورة البحث. إلا أنه وجد فى المبدع أفضلية توفير عنصر التشويق والإثارة مع إبراز الصراع بسلاسة وبلا افتعال.

لم تعد الأفكار الكبيرة وحدها هى المطلوبة بالمسرح (للطفل) .. هناك أهداف أخرى يتلقاها الطفل بلا افتعال .. أهداف لغوية، رفع الذوق العام، التنمية النفسية والوجدانية، تنمية بعض المهارات، تزويد ببعض المعلومات مع تهذيب التفكير.

عمومًا هناك بعض الشروط العامة يلزم مراعاتها حين مخاطبة الطفل سواء بالمسرح أو غيره :

-الاختيار المناسب للحكاية التى تهيء للفعل الدرامى.

-مراعاة المرحلة العمرية .. سواء للطفل المشاهد أو فى العمل الفنى نفسه.

-مراعاة القواعد النفسية والقيم العليا والاجتماعية.

-العمل على زيادة خيال ومدركات الطفل.

-المباشرة التى تحترم عقل الطفل، وتنشط ذهنه أيضًا.

بمتابعة المراحل العمرية للطفل وخصائصها، يلزم مراعاة خصائص كل مرحـ التالى :

مرحلة الحضانة .. فيها يميل الطفل إلى تقليد أبيه، والطفلة تقلد أمها.. كما أن الطفل يملك خيالاً بلا حدود فى تلك المرحلة كأن يمتطى العصى ويتمثلها حصانًا.

مرحلة رياض الأطفال .. وفى تلك المرحلة اللعب والتمثيل شىء واحد. كأن يغنى الطفل أغنية لحيوان ما ثم يتقمص هذا الحيوان. ويمكن عن طريق الكلمات تلقين الطفل القيم المختلفة.

مرحلة الابتدائية .. التمثيل هنا له دوره الفاعل والهام فى الإمتاع والتلقين والتعليم وذلك على عدة أشكال :

-مسرحية المناهج التعليمية .

-توظيف الإيهام المسرحى فى تلقين وغرس القيم وذلك عن طريق (ممارسة المواقف التمثيلية، الألعاب التمثيلية أى المزج بين اللعب والموقف المسرحى، ثم الألعاب التعليمية التى تتضمن اللعب والمعلومات).

عمومًا يتأكد للجميع وفى كل المراحل أهمية إبراز الآتى

-الكشف عن مشاعر وانفعالات الطفل.

-تنمية مهارات الطفل والتدرب على حل المشاكل.

-التعرف على الأفكار واتجاهات الأطفال أنفسهم .

-تلقين المعلومة المعرفية والتعليمية بطريقة شيقة.

.. وقد أفرد البعض بعض الدراسات البحثية عن مسرح الطفل، منهم بحث ل "د. محمد مبارك"، وفيه انتهى إلى الآتى :

-المباشرة .. يجب ألا تصل إلى حد التقريرية وإغفال عقلية الطفل.

-فكرة "الخير والشر" الهامة فى الأعمال المقدمة للطفل لا يجب أن تتم بالتلقين وإصدار الأحكام الجاهزة مع إغفال عقل الطفل.

-الوعى بالسمات العمرية لكل مرحلة سنية فى كتابة وتقديم العمل الفنى الدرامى.

-معرفة الدلالات الرمزية للأشياء عند الكاتب لتوظيف ما يعرف بـ "الإسقاط" فى معالجة الفكرة.

-ممارسة اللعب التخيلى وتنشيط خيال الطفل من أهم أهداف العمل الفنى للطفل.

-حضور الطفل إلى المسرح يمكن أن يخلصه من بعض المشاكل النفسية البسيطة مثل الشعور بالذنب أو القهر أو الخوف .. مع ترسيخ الانتماء واحترام الذات.

-يرى البعض أهمية مناقشة العمل الفنى مع الطفل بعد إسدال الستار.

-يلزم مراعاة القيم الإيجابية فى النصوص المقدمة .. من حيث المضمون واللغة.

-كما أن مشاركة الطفل بالتمثيل من الأمور الإيجابية.

-ضرورة أن يغطى النص المسرحى الجانب العاطفى والنفسى والتعليمى لاحتياجات الطفل.

يمكن القول أخيرًا أن المعنى هنا هو مسرح بالطفل وليس مسرحا للطفل، أى ذلك المسرح الذى يعتمد على الطفل أساسًا فى أغلب عناصره من الموضوع والتمثيل والغرض.

تاسعًا : السينما ..

.. يعتبر الفن السينمائي من الفنون المحببة للكبار والصغار. ولعلها أكثر تشويقًا وجاذبية للصغار، ومن هنا كانت أهميتها السيكولوجية والجمالية والتقنية فضلاً عن [illegible]نيا [illegible]كرية.

فإذا كان الطفل يكتسب معارفه الأولية بواسطة الحواس، ومنها حاسة البصر.. لذا فإن الفن السينمائي أكثر الفنون إمكانية في اكتشاف العالم من حول الطفل لقدرة السينما على التوضيح والتجسيد، مما يساعد الطفل على النمو الفكري. وهو بالتالي ما يحمل السينمائيين المسئولية لدورهم الهام في تشكيل شخصية الطفل.

.. يرى الناقد الانجليزي "د. روجر" :

"إن سحر الأفلام على الأطفال موضوع دائم للتعيب، فإن من الطبيعي أن تلقى الصورة المتحركة من الطفل إعجابًا يفوق ميله للقصة التي تقتصر حكايتها على كلمات وحوار فقط، لأن في الكلمات على الدوام قدرًا من الصعوبة لدى الطفل، وخاصة إذا ما كان مستواه في القراءة ضئيلاً".

وربما يرجع ذلك إلى سحر السينما على الأطفال نتيجة الطبيعة الحركية للفن السينمائي و"الحركة" عند الطفل هي كل حياته (مع مراعاة أن إيقاع الحركة يجب أن تقل مع مراحل نمو الطفل المختلفة وذلك لأن إيقاع الحركة تقل بالفعل عند الطفل كلما كبر). فبالحركة يتخلص الطفل من الروتينية والملل ويشعر بالتجديد وهو بالضبط ما يقدمه الفن السينمائي للطفل.

.. لكن كيف يرى الطفل السينما؟

تقول "مس ماري فيلد":

"لقد تعلمنا بالتدريج بعد مشاهدتنا لمئات من الجماهير. أن نفهم ولمعلوماتنا الخاصة، حركات وأصوات الأطفال. وما هي الأصوات الأكثر إثارة

للاهتمام؟! وقد عرفنا كيف نميز من بينها سبعة أصوات .. الصخب المزعج - حينما يضجر الأطفال بأفلام الكبار، فيبدأون فى اللعب فيما بينهم، ويخرجون عن النظام، وبين الصراخ الذى لا يقل إزعاجا عن ذلك الصخب الصادر عن التأثر الخالص والذى يتمثل فى الترحيب بصور الكبار الكاريكاتورية الملونة، ومناظر العنف فى الأفلام المسلسلة أو أفلام "الويسترن"، ثم هنالك تلك الصرخة السليمة الجيدة نتيجة للتأثر الواعى حين تصل القصة التى يتتبعونها إلى ذورتها، وهو ترويح عاطفى نافع، يعادله الترويح الناتج عن الضحك الطبيعى من المواقف المضحكة البسيطة التى تلاقى صدى نتيجة روح الفكاهة عند الأطفال وليس لروح القسوة الكامنة فيهم ثم الضجيج المحبب للأسماع والذى يصدر عن جماعات من الجماهير يتحدثون بسرور إلى بعضهم البعض وإلى أنفسهم أو إلى الشخصيات التى تمثل على الشاشة، إنه نفس النوع من الضجيج الذى يسمعه المرء داخل فصل دراسى تسوده أفضل حالات النشاط الحر، ثم صيحة السرور عند رؤية طفل أو حيوان صغير أو منظر ذى ألوان هادئة مما يتجاوب مع عواطفهم، ثم أخيرًا ذلك السكون الشامل الذى يسود جمهورًا مأخوذًا بالكشف عن خبايا القصة المعروضة على الشاشة".

أما الأطفال ما بين السابعة والثانية عشرة، لوحظ إنهم يريدون أن يلائموا أنفسهم مع الأطفال الذين يظهرون على الشاشة .

كما أن الأطفال عمومًا لا يفضلون كثرة الحوار، كما لا يحبون أن يروا شخصياتهم المحببة فى خطر أو أن يظهر عليها أى نوع من الخطر الحقيقى، لأنهم فى الحقيقة يتقمصون هذه الشخصيات ويتوحدون معها.

كذلك فالأطفال يحبون استمرار الشخصيات حتى نهاية الفيلم، وهى من دواعى نجاح الأفلام عند الطفل.

إلا أن الأطفال قبل سن المراهقة :

-الأطفال ما دون الخامسة من عمرهم، يلزم ضرورة إبراز جانب الخير من جانب الشر، حتى ينحاز الطفل إلى الخير.

-الأطفال بعد الخامسة يرفض الوعظ المباشر، ويجب تقديم الجانب الأخلاقي/ أو المعرفي وغيره بشكل مباشر ومحبب إلى النفس.

-الأطفال في سن المراهقة يميلون إلى أعمال الكبار، ربما لرغبتهم في التمثل بهؤلاء الكبار وهي خاصية يجب مراعاتها حتى في كتابة أعمال الكبار.

.. ربما يمكن الإشارة إلى جملة ملامح الفيلم والفن السينمائي المناسب للطفل:

-مراعاة "الحركة" باعتبارها من أهم عناصر التعبير في سينما الطفل.

-مراعاة "الحوار" المختصر وتوظيف الصورة الفنية بالفيلم.

-مراعاة المراحل السنية للطفل في معالجات تلك الأفلام لمشاكل الطفل.

-مراعاة "الإيقاع" في الفيلم بما يتناسب والمرحلة السنية للطفل .. فالحركة للطفل الصغير أسرع من مرحلة أعلى .. وهكذا.

-يفضل أن يكون "البطل" طفلا، ليتصدى للمشاكل التي يشعر بها الطفل المشاهد.

-لكل مرحلة سنية للطفل المشاهد موضوعاتها وطريقة تناولها.

.. وغالبًا ما يراعي كتاب الطفل (بما فيهم كتاب السينما) المراحل العمرية الواجب مراعاتها عند الكتابة لمرحلة عمرية معينة للطفل، وهي أربعة مراحل:

المرحلة الأولى .. (ما قبل الخامسة)

وفيها يتكون عالم الطفل من الأب والأم والأخوة ثم المتصلين بالمنزل. وعالم اللعب والحيوانات الأليفة والطيور .

كذلك يبدى الطفل اهتمامه تجاه كل ما يتصل بالجو من برد وحرارة، أمطار أو سحب لم شمس مشرقة وتقلبات الجو .. وكلها على علاقة بالطفل فى هذه المرحلة.

يعتبر الإيقاع والتكرار من منابع استمتاع الطفل، كما يجذب اهتمامه في كل ما هو غريب وما يثير الضحك بصرف النظر عن معقوليتها كالسقوط على الأرض فجأة . كذلك يشعر الطفل بالرعب من تلك الكائنات التى ضلت طريقها أو وجدت نفسها وحيدة. (فى هذه المرحلة السينما أنسب من المسرح للطفل لعدم إمكانية بقاء الطفل جالسا مستقرًا كما يلزم فى المسرح).

المرحلة الثانية .. (من السابعة حتى الثامنة أو مرحلة الخيال المطلق)

فى هذه المرحلة ينجذب الأطفال إلى الشخصيات الخيالية غير الواقعية. وفى هذه المرحلة لا يشعر الطفل بالخوف أثناء متابعة الشخصيات القاسية والعنيفة، بل يتلذذ بالخوف الشفيف من الأحداث. كما يجد الطفل هنا لذة لسماع أو رؤية القصص الخيالية أو الحواديت.

(فالطفل هنا يسمع قصة أمنا الغولة مع شىء من الخوف واللذة معًا لعدم شعوره بالأمن الكامل فى عالمه الواقعى..)

كما يتعلق الطفل فى هذه المرحلة بالشخصيات الرومانتيكية كالملوك فى الزمن القديم والأبطال الفرسان الأقوياء، ثم المواطنين المساكين الذين يحققون الشهرة أو النفوذ. عمومًا الطابع المميز لطفل هذه المرحلة إنها ذات طابع أخلاقى.

المرحلة الثالثة .. (من الثامنة حتى الحادية عشرة وهى مرحلة البطولة)

يميل الطفل إلى المغامرة وإلى الشخصيات الواقعية أو الأسطورية التى تحقق أعمالاً بطوليًا، فى مزيج بين الواقع والأسطورة.

ويمكن لطفل هذه المرحلة متابعة الأعمال المتشابكة (ويصلح مشاهدة المسرح) .. وهنا يبدأ الانفصال بين اهتمام البنين عن البنات. فالأولاد يفضلون الحروب والرواد والمستكشفون بينما يفضل الفتيات الاهتمام بعالم الحياة الأسرية وبالفتيات التى تتصدر الفتيات أدوار البطولة.

عمومًا فالموضوعات التاريخية والطريف أن هذا الحب يتمدد إلى ما بعد الحادية عشرة.

المرحلة الرابعة.. (من الثانية عشرة حتى الخامسة عشرة وهى مرحلة المثالية)

يميلون إلى المعانى المثالية ، والمغامرات الرومانتيكية .. فتكون المغامرة والمشقة من أجل الحقيقة ويستجيبون للتهكم والسخرية وللأعمال ذات الطابع الفكرى.

الباب الثالث

اقتراب تربوى من عالم الطفل

مقدمة

وقفة مع مفاهيم خاطئة فى عالم الطفل

-الأطفال هم صغار البالغين.

-يتحقق النمو بتلبية كل الرغبات الصغيرة.

-اللعب .. شقاوة تستحق العقاب.

-الطفل الأنثى مخالف الطفل الذكر.

-الأطفال على شاكلة آبائهم .

-الواجبات المدرسية ضرورة هامة للطفل.

مبادىء التربية الخلاقة

نتائج تحليلية فى أدب الطفل

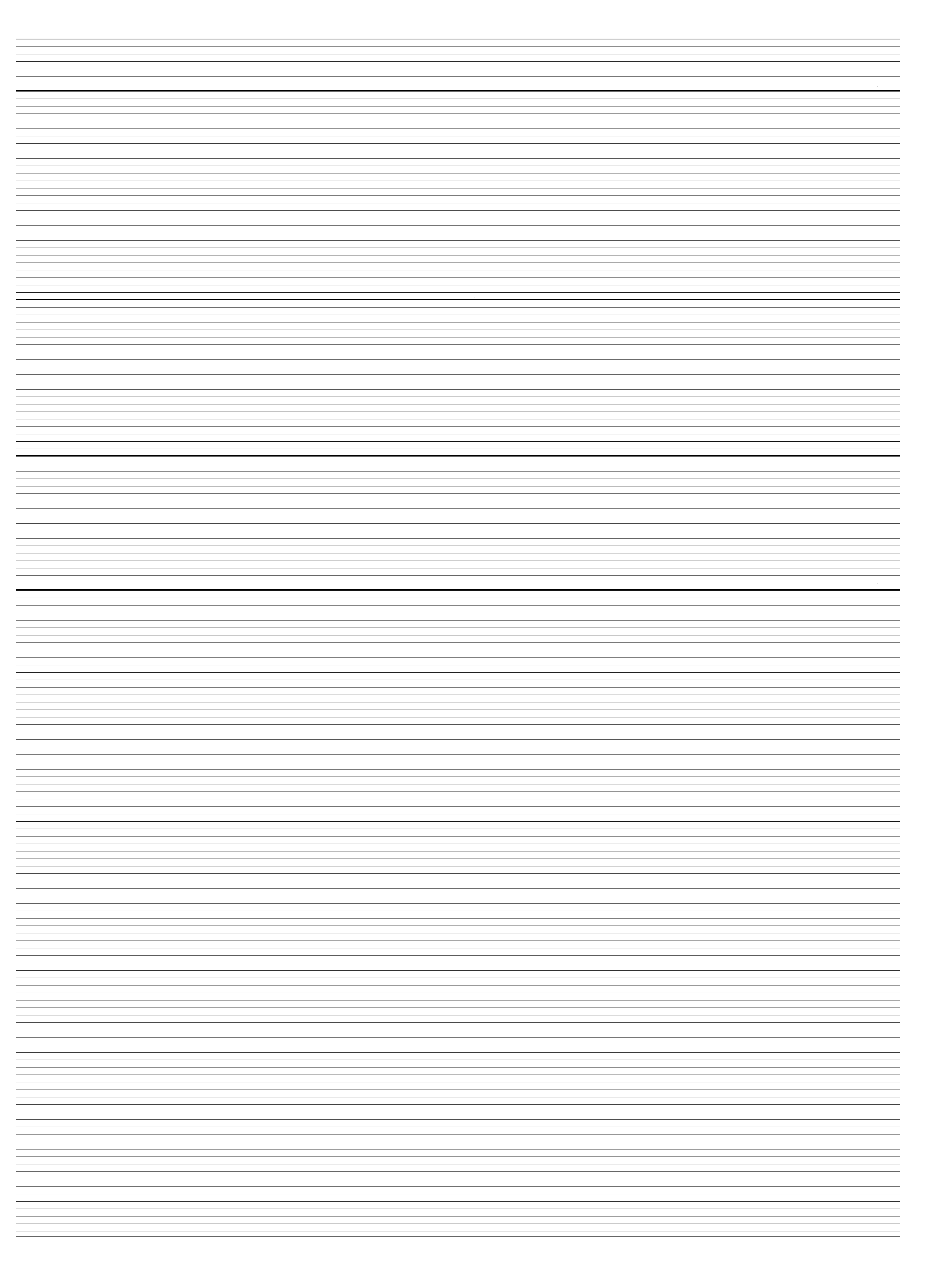
الطفل الموهبة .. وأهميته

-موضوع اكتشاف الموهبة .

-علامات الطفل الموهوب .

-منهج مقترح لرعاية الموهوبين .

هل الطفل الموهوب مشكلة ؟



.. ما أسهل أن توضع اقتراحات بالحلول التربوية على نحو ما للاقتراب من عالم الطفل، خصوصًا ونحن نسعى للاقتراب من طفل جديد. لكن المشكلة الحقيقية هى كيفية تطبيق تلك المقترحات كما أن الحلول ليست جاهزة على هذا العرض المبسط، وعلى الجميع الإسراع نحو الطفل مسلحًا بقدر أكبر من التواضع المعرفى والسلوكى.

فالأطفال يتقبلون صداقة الكبار، لكن الكبار يتعالون ويزمجرون .. يدعون أن الانضباط والطفولة لا يجتمعان. والطريف إذا قارب الطفل أمرًا خاصا بالكبار ذكروه بأنه لا يزال صغيرًا .. وإذا ما مارس الكبير طفولته معهم طالبوه أن يكون كبيرًا!!. ومع ذلك لا يبقى إلا التأكيد على حقيقة هامة هى ضرورة تأسيس علاقات الكبار بالصغار وبالعكس على أسس جديدة واعية، وهى نقطة البداية.

.. ولأن المجتمع المعاصر والمستقبلى هو مجتمع المنظمات أو المؤسسات، يصبح السؤال : كيف يمكن إدارة المؤسسات التى تقوم على إدارة شئون الطفل كى تكون أكثر إيجابية ولتحقيق التوافق بين الصراع الطبيعى بين الطفل واحتياجاته العشوائية والبناء المؤسسى أو الاجتماعى المرغوب ؟

يعتمد الفكر الإدارى المعاصر على أساس من إقرار أولى بوجود "الصراع" الذى ينشأ من التناقض بين السلوك الفردى (الطفولى) والنمط السلوكى الذى تبغيه المؤسسة.

وهذا الصراع يسعى إلى التغيير، ذلك التغيير الذى يستند إلى الحقيقة التى مفاداها هو : (أن التنظيم لا يوجد من فراغ، فهو يمارس وظائفه فى ظل مجـ يخضع بطبيعة الحال لظروف اقتصادية وسياسية وثقافية تمارس تأثيرها فيه، وتخضعه

للتكيف معها اذا ما أراد البقاء، وتلك حقيقة أولية تستطيع أن تكشف لنا عن أحد مصادر التغيير العديدة التى قد يخضع لها التنظيم. وهو نعد ذلك مؤلف من أبعاد تكنولوجية واقتصادية وسياسية وثقافية وتنظيمية تتفاعل فيما بينها لتشكل فى النهاية مصدراً آخر للتغيير لا يمكن تجاهله .. (من كتاب النظرية الاجتماعية ودراسة التنظيم السيد الحسينى) وبالتالى فإن العلاقة بين الصراع والتغيير تعتمد على ادارة الصراع.

فمنذ عقد الثمانينيات ظهرت العديد من المفاهيم تمثلت فى : مفهوم التنمية الشاملة، التنمية الريفية، المفهوم الإنسانى للتنمية، الاهتمام بالتعليم غير النظامى، تحسين نوعية التعليم وغيرها من المفاهيم .

ويلزم أولاً التعرف على أبعاد طبيعة الصراع وهي :

-أن النظم الاجتماعية مؤلفة من جماعات مصالح، لكل منها أغراضها الخاصة.

-التفاعل بين تلك الجماعات ينتج الصراع.

-التغيير ملمح أساسى أو نتيجة طبيعية.

وتتركز أساليب العمل لإدارة الصراع داخل المؤسسات التربوية على الآتى:

١ - مواجهة المشاكل والعمل على حلها .. بالأسلوب الهادئ.

٢- التفاوض والحوار بين أطراف الصراع، واعتبار الطفل داخل المؤسسة عنصر إيجابى.

٣- على مستوى الإدارة للمؤسسة (كجهاز إدارى) تلقين العاملين طرق الاتصال مع المؤسسات الأخرى ومع الطفل داخل المؤسسة لجمع المعلومات. تنمية المهارات الخاصة للمعلمين والمتعاملين مع الطفل. تحديد الاختصاصات بحيث لا تبدو فى حالة تعارض أحيانا.

ولأن الواقع القادم متغير، يلزم معه ما يسمى بالتعليم المستمر والتعليم الذاتي حتى أنهم بدأوا يعرفون "التخلف" بأنه عدم التأقلم مع المتغيرات الجديدة .. فقد انتهى عصر التعليم بشكل تحديد منهج بعينه وتقديم معلومات ما. وتحول التعليم إلى (تعليم الطفل كيف يتعلم؟ أي كيف يتعرف على نفسه والبيئة من حوله. ثم كيف يفكر في حل مشاكله البسيطة وربما المعقدة؟، المهم أن يعرف كيف يفكر قبل أن يحفظ المعلومة وحل المشكلة النهائي. فقد انفتحت الآفاق وتعددت الاتجاهات، لقد دخلنا عصر المعلومات بعد أن تجاوزنا عصر الصناعة .. وتحول المجتمع إلى مجتمع معلوماتي بدلاً من الصناعي.

وقفة مع مفاهيم خاطئة فى عالم الطفل

.. كثيرة هى الدراسات المتخصصة والمقالات فى الدوريات السيارة وغيرها، تلك التى تتناول جانب من جوانب عالم الطفل الثرى. ففى جانب يكون الحديث حول قضايا الطفل من حيث هو كائن ينمو يومًا بعد يوم، نموًا جسمانيًا ونفسيًا معا .. وفى جانب تتناول العناصر الفاعلة فى هذا الطفل من الأم والحضانة ثم الروضة والمدرسة ثم تأثير وسائل الإعلام والبيئة المحيطة وهذه الوقفة تتوجه مباشرة إلى المتعاملين مع الطفل بشكل مباشر وغير المباشر، حيث تناقش بعض المفاهيم الخاطئة التى شاعت وأصبحت من العوائق دون أن ندرى، وربما يوجد من يدرى فعلتها الخاطئة لكن هناك من العوامل المتسلطة ما يجعله يصمت أو ربما لا يلتفت إليها إثارًا للراحة.

.. ومن هذه المفاهيم :

-الأطفال هم من صغار البالغين ..

ليس صحيحًا أن ننظر إلى الأطفال باعتبارهم من صغار البالغين، فلا هم يفهمون ولا هم يشعرون كما البالغين. ذلك أن كل طفل من الناحية الجسمية والعقلية والعاطفية (النفسية) هو كائن أو لنقل شخص آخذ فى النمو له حاجات ولديه إمكانيات تخصه وحده.

لذلك فإن مهمة المحيطين بالطفل والراغبين فى دفع ذلك النمو أن يدركوا تلك الحاجات ويبلوها، ثم التعرف على هذه الإمكانات والأخذ بها ودعمها ورعايتها إلى أقصى حد من الفهم .. ذلك لسببين: أولهما .. إن الوراثة والبيئة لهما دورهما الهام فى تكوين ذلك الكائن الجديد. فنقص الغذاء وإصابة الأم ببعض الأمراض أثناء الحمل وعدم توفير الحنان والحب كلها لها تأثيرها على الطفل. أما

ثانيهما .. أن الطفل ذلك الكائن المتنامى بقوة دفع خاصة (بيولوجية وجسمية ونفسية وعقلية) لا يسعنا أمام طاقته الخاصة تلك إلا أن نسعى للوصول إلى مبلغ تمامها، فما يقدمانه (الوالدين) من رعاية ليست بغرض تنمية الطفل بل بغرض تهيئة المناخ المناسب للوصول بذلك النمو إلى أقصى درجاته.

أهمية النقطة الثانية ترجع إلى ضرورة مراعاة ذلك الفهم حتى نتعامل مع الطفل بقدر أكبر من الحرية .. وبالقطع الحرية تلك تنسب إلى الطفل نفسه، فلا نتعامل معه بالزجر أو العنف أو الجبر مهما كانت الدوافع نبيلة (فهى كذلك من وجهة نظرنا على الأقل)، ولأن الطفل كائن فى طريقه للنمو والتشكل أردنا أم لم نرد، فلا حيلة لنا إلا مراعاة الآتى :

-ضرورة فهم ومراعاة أن الأطفال يختلفون فيما بينهم، وإن كانت هناك بعض السمات المشتركة لكل مرحلة عمرية أو حتى كل سنة فى السنوات الأولى من العمر.

-بالنسبة للأطفال الأسوياء (الذين يمرون بمراحل النمو بنظامها المسلسل المتفق عليه والمقنن علميا) هؤلاء الأطفال ليسوا كلهم على نفس السرعة فى تحقيق مرحلة والنمو إلى أخرى، فهناك النمو الأسرع والأبطء من المتوسط، والطريق أن يلاحظ ذلك بين شقيقين داخل الأسرة الواحدة.

-بالنسبة للأطفال غير متناسقى معدلات النمو فى جوانب الشخصية بنفس المعدل والتساوى، كأن يختلف المعدل بين النمو والجسمانى والعقلى والعاطفى أو النفسى على غير توافق فيما بينهم .. كأن يكون النمو متناسقا فى كل الجوانب إلا الجسمى. وهكذا .. فلا حيلة إلا التقييم الشامل وعلى فترات لا تقل عن الستة أشهر، مع مراعاة عدم تأنيب الطفل على نقص أحد تلك الجوانب.

ولسوء الحظ كثيرًا ما يثير سلوك الصغير سخط الكبار، ونحن لا ندرى إن ذلك السلوك ليس إلا شكل من أشكال التعبير عن الذات عند الطفل فى مرحلة سنية معينة

(كأن يبدو نشطا أكثر من اللازم ويتقلب فوق الأرض أمام الضيوف فنغضب!!). ولا حيلة أمام الكبار إلا محاولة فهم مراحل نمو الطفل ووسائل تعبيره عن كل مرحلة وفي المقابل ضرورة فهم أنه ليس كائنا لممارسة كل نواقصنا ثم سطوتنا عليه لأننا ولدنا قبله بعدة سنوات!!

-يتحقق النمو بتلبية كل رغبات الصغير ..

ليس صحيحًا أن يتم النمو في خط مستقيم من مرحلة إلى أخرى عند الطفل، ولكنها مع ذلك مراحل سريعة قريبة زمنيًا بعضًا إلى البعض (وهو واضح بمتابعة الطفل من عمر السنة إلى عمر العشر سنين) .. فقد تقصر تلك حينًا وتطول حينا آخر، إلا أنها من الوضوح (مع تداخلها)، كذلك ليست هكذا على نفس القدر والتساوي في جوانب الشخصية (جسمية وعقلية وعاطفية أو نفسية).

لكن القاعدة الذهبية في تلك المراحل العمرية المبكرة هي أن يترك الطفل لمجابهة حياته (يراقب على البعد) .. فالنمو لا يتحقق إلا بتوازن ما بين نجاحه وفشله عند مجابهة المشكلات العادية.

ودور الوالدين أو المحيطين بالطفل ليس إلا إرضاء احتياجات ذلك الكائن المتنامي من عناصرها الأساسية : الغذاء - العطف والحب - التعامل مع الطفل باعتباره شخصية مستقلة لها خصوصيتها دون إجبار أو قهر.

تبقى الممارسات اليومية والمشكلات البسيطة التي قد يتعرض لها الطفل أثناء اللعب، فمثلا فقده للعبته يعتبر من الكوارث التي يمكن أن يتعرض لها. فلا يبقى إلا أن توجهه الأم إلى أفضل السبل في العثور عليها في مكان ما أو تعويضه اللعبة مقابل أن يقوم هو بتجميع ثمنها من ماله الخاص (مصروفه) أو أن تشتريها الأم مقابل الحفاظ عليها (لإشعار الطفل بدوره الإيجابي في الحفاظ عن اللعبة أو في خصوصيات حياته).

إذن فالنمو لا يتحقق بسلبية الطفل. لأن النمو الحقيقي يقوم على عنصري النجاح والفشل والتوازن بينهما.. فليس النمو خطا مستقيمًا بل هو خطًا متعرجًا لكنه يتجه للأمام.

-"اللعب" .. شقاوة تستحق العقاب ..

للعب في حياة الصغير قيمة كبيرة ، فاللعب هو مفتاح الصغير إلى العالم اكتشافه وممارسته. فاللعب (عموما) يدخل التنوع والخصب إلى نفس الطفل، ويزيل التوتر النفسي، أو لنقل التوتر الجسمي الانفعالي، وهو وسيلة تعليمية غير مباشرة وجذابة.

وباللعب يعبر الطفل عن نفسه، لذا فالعمل عنده عملاً جادًا فيه يتفاعل مع الآخرين، ثم يمارس متناقضات الميول (بين الأطفال بعضهم البعض .. والتناقض) وهو ليس بالأمر الهين لأنه ببساطة يحتاج من الطفل القدر الكبير من القدرة على التصرف ومعايشة بعض التناقضات التي قد لا تريحه.

ولكل مرحلة من مراحل العمر لعبها وألعابها الخاصة، بعضها يعتمد على العنف أو الحركات الجسدية العنيفة، وبعضها على التصرف الذهني، وهنا قد يفضل البعض أن يرى أطفاله تلعب ألعاب هادئة (على حد قولهم) .. وبالعموم الحرمان من اللعب يؤدي إلى اضطرابات سلوكية عند الطفل، ومن الأفضل أن يترك للطفل فرصة اللعب حسب مرحلته السنية، وأن يكون ذلك تحت إشراف الكبار ليس فقط لتوفير أدوات اللعب بل واكتشاف ميول الطفل ورغباته.

أما اللعبة المثال أو "الأنموذج" هي تلك اللعبة التي يؤدي اللعب بها إلى نشاط جسم الطفل، مع إثارة فكره، كما يتميز البعض منها بإمكانية المشاركة بين أكثر من طفل لممارسة اللعب بنفس اللعبة وهو ما ينمي الترابط والتعارف الاجتماعي.

عمومًا فإن لكل مرحلة عمرية ألعابها .. فللرضيع (العرائس - الشخاشيخ - كرات المطاط - الأجراس .. إلخ) مع الحرص على عدم دخول أي طلاء أو أن تحتوي على رصاص في تركيبها، كما يجب ألا تكون ذات حواف حادة أو مدببة.

والطفل الأكبر سنا .. من عام إلى ثلاثة أعوام .. يفضل الألعاب التي تنتج شيئًا جديدًا مثل الألوان التي تشكل أشكالاً طريفة وجديدة. وفي هذه السن يفضل الطفل من حين إلى آخر اللعب مع طفل آخر. وفي هذه السن يفضل الطفل جر الكراسي وكأنها القطار!! أو الركوب فوقها وكأنها السيارة التي يقودها. ولكن هناك نصيحة بترك الطفل في الأماكن الخالية من كل شيء حيث يكون الطفل أكثر حرية وانطلاقًا.

وفي مرحلة تالية يكون اللعب الجماعي ضرورة .. حيث يتعلم الطفل إمكانية تعديل السلوك اكتساب الخبرات المختلفة من الآخرين. فتزداد معرفة وثقافة الطفل، مع تنمية روح التنافس المرغوبة.

ثم هناك الألعاب التي تمثل نشاطا ذهنيًا (الشطرنج). هوايات جمع الأشياء مثل الطوابع وغيرها .. فيها قدر من التنمية الثقافية وتنمية شخصية الطفل نفسه.

وفي النهاية فإن شخصية الطفل ما هي إلا محصلة لعدد من الممارسات في الحياة، منها اللعب التي قد تكشف وتنمي ملكاته أو كذلك قد تجعله اجتماعيًا وتأصيل العديد من القيم الهامة في حياته.

-الطفل الأنثى مخالف الطفل الذكر ..

لقد أثبتت الدراسات الفسيولوجية والنفسية الاجتماعية على الأطفال. إن الفوارق بين الذكر والأنثى تتعلق بالفروق الطبيعية، وتأهيل الملكات التي تميز بين دورهما في الحياة الاجتماعية فيما بعد. ويبدو ذلك واضحًا سواء في البناء الجسماني والنفسي أما النمو العقلي فلا توجد فوارق على الإطلاق منذ الميلاد وإلى مراحل متقدمة من العمر.

إلا أن الخواء الروحي وقلة الوعي أنتجت في بعض المجتمعات تلك النظرة الدونية بالنسبة للأنثى والاعتزاز بالذكر .. ويبدو أنها ترسخت في بعض المجتمعات على شكل قيم عامة يصعب تلافيها. وقد وصل الأمر إلى إزهاق أرواح الأطفال الإناث فور ولادتها. وهو ما سجلته جماعات حقوق الإنسان في بعض المجتمعات مثل "الهند"، نشرت جريدة "الاكسبريس" اللندنية أن في ولاية "بيهار" – التي تعد أفقر الولايات الهندية – قتل في عام ١٩٩٥م ما يزيد عن ١,٦ مليون طفله!!، حيث تعد البنات عبء اقتصادي إذا بلغن سن الزواج. وتبدو المشكلة أقرب إلى المأساة عندما أكد التقرير أن هناك على الأقل عشر ولايات هندية فقيرة وتمارس نفس التصرف مع الطفلة بعد ولادتها مباشرة!!.

أما الجانب الآخر من المشكلة والتي رصدتها التقارير، هو زج الطفلات الصغيرات إلى بيوت الدعارة عنوة وفي غفلة من وعي الصغيرة، والغريب أن هذه الظاهرة السيئة قد رصدت بالولايات المتحدة الأمريكية، وهناك حوالي ما بين ١٠٠– ٣٠٠ ألف طفل وطفلة أغرقوا في الدعارة، حسب قول باحثين اجتماعيين!!

–الأطفال على شاكلة آبائهم تماما ..

المقولة تندرج تحت موضوع تأثير "الوراثة" و"البيئة" على سلوك الطفل. أما الوراثة فهي مفهوم له معناه البيولوجي وتعبر عن نفسها في الخصائص الجسمية عمومًا من صفات عامة وخاصة، مثل لون الشعر، الملامح، حجم الجسم من حيث الطول والقصر .. إلخ.

وحدات الوراثة هي المورثات (الجينات) التي تقع على الصبغات (الكروموزومات) التي توجد في نواة الخلايا. وهذه الصبغات توجد في صورة ثنائية .. تتكون أساسًا في اللاقحة (الزيجوت) المتكونة من اندماج خلايا الجنس (بويضة وحيوان منوي).. أي أن كلا من الأم والأب يسهم بواحدة من كل زوج من الصبغات.

ومن المعروف أن الأبنية الجسمية تلعب دورًا هامًا في تحديد خصائص السلوك، ويمكن القول أن خصائص جسمية أو بنيوية معينة تعد شرطا ضروريًا إلا أنها ليست شرطًا كافيًا لنمو أحد أنماط السلوك.. أى أن توافر كل المتطلبات البنيوية لا يعنى ظهور سلوك معين كما أن ذلك لا يعنى أن عدم وجود نمط معين من السلوك لا يعنى نقصًا بنيويًا، وبالمثل فالتغييرات السلوكية لا يعنى تغييرات بنيوية.

ولقد اتضح الخلط في مجال دور الوراثة في السلوك الإنساني من الخلط بين الخصائص السلوكية (التى هى نفسية والبنية الجسمية وعوامل البنيوية لها دور ما فيها) وبين الخصائص البنيوية (التى هى وراثية فقط وهى كل ما يتصل بكل ما هو فطرى أو عضوى أو جسمى أو له أصل فسيولوجى، بالإضافة إلى كل أصل فسيولوجى) .. والخصائص الوظيفية فيشير إلى كل ما هو سلوكى أو خبرى أو له أصل نفسى أو سيكولوجى بالفعل .

أما "البيئة" فيمكن تعريفها من الناحية النفسية بأنها مجموعة من المثيرات التى يتلقاها الفرد منذ لحظة إخصاب البويضة حتى وفاته. وبالعموم بيئة ما قبل الولادة (التى تؤثر عليها تغذية الأم وصحتها العامة .. إلخ) وبيئة ما بعد الولادة (التى تتركب من المثيرات المختلفة التى يتعرض لها الإنسان .. ولكن أكدت الحقائق أن وجود شخصان فى بيئة واحدة لا يعنى أنهما من بيئة نفسية واحدة.

وبالتالى فإننا لسنا أمام حقيقة مؤكدة تقول بأن الأطفال على شاكلة أبائهم بالعموم .. وإن تحققت تلك النبوءة بدرجة ما من خلال العلاقات السوية بين الأباء والأبناء من خلال عنصرى الوراثة والبيئة.

-الواجبات المدرسية ضرورة هامة للطفل ..

أكد المتابعون أن الواجبات المدرسية تعد مشكلة تثقل كاهل الصغار وتحرمهم من حقهم الطبيعى فى اللعب والاستمتاع بأوقاتهم. كم هو الإحباط القاسى

يحط علـى رأس الطفل وربما الأباء والأمهات معهم إذا ما فشل الصغير فى إنجاز عملية حسابية عليه حلها وإعمال عقله فيها بعد يوم دراسى طويل.

والحقيقة فإن اليوم الدراسى الناجح والكامل يغنى عن الأسرة كلها هذا العبء غير المبرر .. خصوصًا أن المعلمين يكلفون الصغار بقدر قد يفوق طاقتهم وعلى غير خطة واضحة محددة سلفًا.

وبالعموم فإن الواجبات المدرسية ليست مرفوضة تمامًا، فهناك من يعتبرها مهمة للطفل الراغب فى التفوق واختيارى، ومنهم من يرى بضرورة تنويعه وأن يبدو ابتكاريًا للبعض المؤهل لذلك، وأن يكون ترويحيًّا للبعض الآخر وربما للغالبية .. وعلى المعلم أن يحدد ذلك مع كل طفل على خده بالفصل الدراسى وفى ضوء إمكانيات كل طفل.

وبالتالى فإن موضوع الواجبات المدرسية من الموضوعات الهامة تربويًا ونفسيًا للطفل، بحيث يحتاج إلى دراسة مستقلة وحده.

مبادئ التربية الخلاقة

يرى د. العيسوى عدة مبادئ يلزم مراعاتها لتنمية الطفل إبداعيًا بحيث ترى مشاركة الأم والبيت والمدرسة ووسائل الإعلام.. وغيره، كلها مشتركة معا فى تربية طفل الغد وبالتالى نراها هامة وأساسية :

١- الإيمان بأن استعدادات الفرد يمكن أن تنمى وتزدهر أو تطمس وتختفى أو تغير من وجهتها فإما إلى الخير أو إلى الشر.

٢- الإيمان بأن الإنسان يمتلك قدرات عقلية لا متناهية يستطيع بها أن يحقق المعجزات إذا توفرت لها الظروف المواتية.

٣- الإيمان بأننا فى عصر الثروات البشرية، فمن يمتلك ناصية العلم يمتلك ناصية العالم..

٤- يجب أن يكون هدف التربية خلق المواطن العصرى الذى يتمتع بالعلم والإيمان، صاحب الشخصية المتكاملة فى عناصرها الجسمية والنفسية والاجتماعية والخلقية والعقلية والروحية.

٥- ضرورة تطبيق سياسة علمية موضوعية فى التوجيه التربوى والمهنى بحيث يوضع الشخص المناسب فى المكان المناسب الذى يتفق مع ما يملك من ذكاء وقدرات واستعدادات وميول وسمات شخصية وخبرات ومؤهلات.

٦- ضرورة الاهتمام بالتعليم الفنى المتوسط والعالى وجعله عصريا ورفع مستواه ومستوى خريجيه ومعلميه.

٧- ضرورة تمشى المناهج الدراسية من حيث محتواها ومستواها مع مستويات التلاميذ العقلية واهتماماتهم النفسية.

٨- مراعاة القواعد النفسية (السيكولوجية) فى طرق التدريس وفى معاملة التلاميذ والابتعاد عن أساليب الشدة والقسوة والعنف والعقاب البدنى.

٩- ضرورة الإيمان بجعل التلميذ إيجابيًا فعالاً فى العملية التعليمية.

١٠- الاهتمام بشخصية التلميذ ونمو القدرات والاستعدادات والميول الخاصة بالتلميذ بدلاً من الاهتمام الزائد بحشو أذهان التلاميذ بالحقائق العلمية المكدسة وعدم تقديس المادة فى حد ذاتها.

١١- العمل على نقل أثر ما يتعلمه الطفل فى مادة معينة إلى بقية المواد الأخرى، وما يتعلمه من قاعات الدرس إلى الحياة العامة خارج المدرسة، ثم تعويده على الربط بين المواد الدراسية والتكامل بينها وتطبيقها فى المجالات العلمية.

١٢- الإيمان بوجود فروق فردية واسعة بين التلاميذ ومراعاتها فى البرامج التعليمية وفى طرق التدريس.

١٣- الإيمان بأن القلق والاضطرابات النفسية الأخرى من المعوقات الأساسية للابتكار ولذلك يلزم تخليص التلاميذ منها.

١٤- تنمية حب العمل والجد والاجتهاد والرغبة فى البحث عن الحقيقة.

١٥- توفير وسائل الإيضاح الحديثة التى تتناول أحدث مبتكرات التكنولوجيا.

١٦- الاهتمام بالرحلات العلمية والاستكشافية وخاصة زيارة المؤسسات التى تحتوى على آلات تكنولوجية حديثة.

١٧- الاعتماد على طرق التدريس الجيدة كطريقة المشكلات حيث تقدم المواد العلمية على شكل مشكلات تتحدى ذكاء التلاميذ وتثير اهتمامهم.

١٨- تزويد المدارس بالإمكانات العلمية المناسبة والحديثة والتى تتلاءم مع احتياجات القرن القادم من ظواهر علمية وتكنولوجية.

١٩- تشجيع المدرسة لمواهب التلاميذ العلمية والفنية واحتضانها ومنحهم الجوائز وتوفير المواد الخام اللازمة لإجراء التجارب.

٢٠- دراسة تاريخ العلم والعلماء القدماء والمحدثين والمعاصرين.

٢١- تنمية الشعور بالثقة بالنفس فى العقلية العربية وقدرتها على الخلق والإبداع والاستشهاد بالأمثلة العربية الحية من علماء عرب ومبدعين فى مجال الفنون وغيره.

٢٢- دعوة رجال الأدب والعلم وأهل الاختصاص لإلقاء المحاضرات على الطلاب في مجال تخصصه.

٢٣- ضرورة توفير الدوافع والبواعث والحوافز فى نفوس التلاميذ على الابتكار.

٢٤- تكوين عادات الدقة والموضوعية والتدريب على أساليب الاستقراء العلـ

٢٥- تدريب التلاميذ على التفكير فى حل المشكلات التابعة من حياتهم الواقعية.

٢٦- تدريب الطلاب على الابتعاد عن الذاتية والتأثر بالأهواء الشخصية.

٢٧- تدريب الطلاب على تجنب عادة الفقر فى إصدار الأحكام أو التسرع فيها.

٢٨- الإيمان بأن محك الخطأ والصواب الوحيد هو الحقائق الواقعية نفسها الموجودة للطبيعة واستطلاعها والإيمان بأن التجربة هى صاحبة الكلمة النهائية فى أى جدال.

٢٩- تدريب الطلاب على الصدق والأمانة والشجاعة الأدبية والمرونة الفكرية والاستعداد لتغيير اتجاهات وآراء الفرد وعدم التمسك الأعمى بآرائه.

٣٠- الإيمان بأن معاشرة الناس المبدعين تساعد على نمو الإبداع .. وأن الذكاء وإن كانت تحدده الوراثة بشكل عام إلا أن التغذية الجيدة والتربية والوقاية والعلاج من الأمراض الجسيمة والنفسية تساعد على زيادة نمو وسن استغلاله.

٣١- الاهتمام بتدريس علم النفس والمنطق الصورى والتطبيقى ومناهج البحث فى العلوم الطبيعية والرياضية والإنسانية وتدريب الطلاب على الملاحظة العلمية الدقيقة وعلى التجريب وتصميم التجارب وجمع الحقائق.

٣٢- إتباع طرق التدريس الجيدة التى تنمى فى التلاميذ القدرة على التفكير الناقد وعلى التحليل والتركيب والنقد والمقارنة والتطبيق والتعميم والتجريد والتمييز والاستدلال والاستنتاج والتخيل والتصور وتكوين الآراء الخاصة.

٣٣- الإيمان بأن الإنسان هو أكثر الكائنات الحية مرونة على التشكيل والتكيف مع ظروف البيئة المتغيرة وإنه أكثرها قدرة على التأثير فى المظاهر الطبيعية وتعديلها وتغييرها.

٣٤- ضرورة خلق اهتمامات متنوعة ومتعددة لدى التلاميذ.

٣٥- تشجيع التربية الاستقلالية.

٣٦ تطبيق الديمقراطية فى الحياة التعليمية

٣٧- تنمية الشعور بالثقة فى النفس لدى الطلاب.

٣٨- إتاحة الفرصة أمام الطلاب للتعبير الحر الطليق عن ذواتهم.

٣٩- تشجيع نزعات الطفل الإبداعية الخلاقة وتغذيتها ورعايتها وعدم الوقوف منها موقف العداء .

.. نتائج تحليلية فى أدب الطفل

بدراسة تطبيقية حول الأنماط الشائعة لأدوار الرجل والمرأة فى الكتب المدرسية وأدب الطفل للدكتورة سهام الفريح بجامعة الكويت، نشرت الدراسة التحليلية التقويمية ضمن مطبوعات "حوليات كلية الآداب" .. كانت النتائج التالية:

أولاً : تتفق نتائج تحليل العينة المختارة لأدب الأطفال من نتائج تحليل الكتب المدرسية فى العناصر التالية ..

١- معظم الأدوار والصفات الإيجابية فى المجتمع تنسب للرجال، فى حين تنسب للنساء الأدوار النمطية من أعمال البيت وتربية الأطفال .

٢- نسبة المشاركات فى أعداد الموضوعات من النساء لا تتجاوز ٣٧,٨٪ من معدى هذه الموضوعات، والنسبة الأغلب للرجال.

٣- نسبة المشاركات فى إعداد الرسوم من النساء ٢٠٪ من عدد المشاركين فى إعداد الرسومات (وفى الكتاب المدرسى النسبة أقل للنساء).

٤- الأعلام المذكورين فى موضوعات أعداد المجلة يبلغ عددهم ١١٦٣ علما، منهم ٣١١ علما للإناث (٢٦,٧٠٠٪) والبقية للرجال.

٥- يبلغ عدد الصور والرسوم التى تشتمل على أشخاص فى الإعداد التى تم تحليلها ١٤١٣ صورة، منها ٢٧٠ صورة للإناث (١٩,١٪) والبقية للرجال.

ثانيًا : تتضمن بعض الموضوعات قوالب وصيغا نمطية مثل. "فلا لعب بعد اليوم"، وبعضها يخدش الحياء مثل "كانت تجلس مع الصبى فى وضع لا تجلسه المرأة إلا مع زوجها" (من ألف ليلة وليلة).

ثالثًا : ويلاحظ أن أبطال بعض المسلسلات "ذكور" و"إناث" ومع ذلك الظهور فى الغالب للذكور، كذلك المسلسلات التاريخية كلها عن الرجال.

وقد انتهيت الباحثة إلى عدة توصيات :

أولاً : فى مجال الكتب المدرسية ..

١- أن تشارك العناصر النسائية فى تأليف الكتب ومراجعتها والإخراج الفنى.. إلخ.

٢- تحقيق التوازن فى اختيار الأعمال الأدبية للذكور والإناث.

٣- تحقيق التوازن فى اختيار الموضوعات التى تهم الإناث والذكور معًا.

٤- التأكيد على ذكر أسماء الإناث دون الصفات مثل : الجدة ، الأم .. إلخ.

٥- تحقيق التوازن بين الإناث والذكور فى الصور والرسومات.

٦- التأكد من تنويع أدوار وظائف المرأة بما يتناسب مع المجتمع الجديد.

٧- الاستفادة من المناقشات التى تتم بعد عرض الدرس لإبراز أهمية دور المرأة.

٨- أن تضمن هذه التوصيات مواصفات تأليف الكتب المدرسية.

٩- توعية المدرسين بأهمية الابتعاد عن جميع الأساليب التى تكرس التفرقة بين الجنسين.

ثانيًا : فى مجال أدب الطفل ..

١- أن تتاح الفرصة لزيادة مشاركة النساء فى تأليف المسلسلات والقصص وإعداد الصور. والرسومات بتلك الكتب.

٢- أن يتحقق فى المشاركة فى الرسوم بين الرجال والنساء.

٣- أن يتحقق التوازن فى المشاركة بالبطولات فى المجلات الأدبية (بين الذكور والإناث).

٤- عرض الشخصيات النسائية التاريخية والفنية من الإناث والذكور.

٥- البعد عن الأساليب والتعليقات التى تحط من شأن المرأة.

٦- ضرورة البعد عن جعل صفات الضعف والرقة والخجل خاصة بالمرأة .. ففى علم النفس قد تكون تلك الصفات من ملامح بعض الرجال، وما يمنع من وجود الرجل رقيق القلب (مثلاً).

٧- الدعوة الإنسانية بالمساواة لا تخرج عن تعاليم الدين الحنيف.

الطفل والموهبة .. وأهميته

على الرغم من النظرة الشمولية الى جملة الاطفال وطرق التعامل معهم ورعايتهم من أجل طفل جديد لقرن جديد .. معقد ومغاير. الا أن الدارسين في فروع التربية وعلم النفس وغيرهم لهم نظرة خاصة ووقفة متأنية مع الطفل (الموهبة). فليس معنى الاهتمام بالطفل المرجو القادم أن نغفل خصوصية البعض بما حباها الله وأعطاها من ملكات: علمية / أدبية / فنية .. الخ. فمازالت الحاجة الى الإبداع والخيال باقية وستبقى مهما اتسم التفكير الاجتماعي بالعلمية والموضوعية. ومن هنا كانت أهمية الطفل الموهبة في المستقبل القريب والبعيد.

وقد حددت الدراسات التربوية في مجال رعاية "الطفل الموهبة" ثلاثة محاور تربوية للتعامل مع هذا الطفل. وهي: أن يتم تعليم هذا الطفل باستخدام أسلوب الاكتشاف، أن يتم تربية هذا الطفل تحت اشتراطات خاصة. حتى يتم تقديم الرعاية الواجبة والمطلوبة.

أكد العالم "جيروم برونر" أن المعرفة يكتسبها الطفل من خلال ثلاثة أشكال هي: الشكل النشاطي .. أي من خلال الخبرات المتداولة مثل أن الكرة شيء يقفز للعب به / والشكل الأيقوني وهو التفكير بالصورة حيث الكرة شيء يقفز وللعب به فور أن ترد لفظة كرة / والشكل الرمزي وهو موضوع الأسماء على الصور والمفاهيم.

وخلاصة رأي "برونر" : أن اللغة تجسد السمة النهائية للتفكير. لكن اللغة تنضج بشكل مبكر القدرات العقلية .. والتفكير الناضج يحدث بشكل لفظي. وعندما تصبح اللغة أداة للتفكير. يأخذ التفكير شكل الكلام المتلفظ به ويعمل الصراع بين اللغة والتفكير على "مد حدود وإمكانيات التفكير".

وموضوع "الاكتشاف" من الموضوعات الهامة عند التربويين، حيث أن المسعى الحقيقى فى مجال تربية الطفل (العادى والموهوب) هو أن يكتسب الطفل القدرة على الاكتشاف .. وهو عند "برونر" لا يقتصر على النشاط الخاص باكتشاف شيء كان مجهولاً، لكنه يشتمل بدلا من ذلك على كل أشكال حصول المرء على المعرفة من خلال عقله الخاص. وهناك بعض العوامل تلعب دورها فى الاكتشاف:

١- الإمكانية أو القدرة العقلية للطفل.

٢- التحول من المكافأة الخارجية إلى المكافأة الداخلية .. أى أن يشعر الطفل أنه فى حاجة وبرغبته يسعى للاكتشاف، حيث أن المكافأة والعقاب أيضًا، لكن أن تجعل نشاط الطفل من أجل وإرضاء الآخرين.

٣- تعلم وسائل الاكتشاف، وهى الخطوة الأولى التى تعين الطفل الموهوب على اكتشاف ذاته ومواهبه.

٤- الاحتفاظ فى الذاكرة.

وقد قدمت العديد من التعريفات فى مصطلح "الموهبة". فيؤكد "سيرل بيرت" على أنه يعنى نسبة الـ ٢٪ الأعلى فى الجمهور العام، مع وضع نسبة ١٣٠ كحد أدنى للفرد الموهوب .. بينما اعتمد "تيرمان" نسبة ١٤٠ كحد أدنى ويضيف بأن الموهبة هى القدرة على التفكير المجرد والمنطقى والاستدلال وعمليات التقييم هى جوهر الذكاء والموهبة. وفى دراسة قدمت إلى الكونجرس الأمريكى لتعريف الموهبة. أن الأفراد تتسم بالآتى:

-القدرة العقلية العامة.

-الاستعداد الدراسى الخاص.

-التفكير الابداعى أو الانتاجى

-قدرات القيادة.

-الفنون البصرية والأدائية.

-القدرة النفسية الحركية.

كما يرى "جوزيف رينزولى" أن شخصية الموهوب تتسم بالآتى : القدرة فوق المتوسطة التى تشمل القدرات العامة والقدرات الخاصة (العامة مثل التوافق مع المواقف الجديدة .. والخاصة مثل الفنون وغيرها) .. الانهماك فى العمل ويعنى الاهتمام بمستوى عال لأى موضوع من الموضوعات وغيرها .. ثم الإبداع مثل انفتاح التفكير والطلاقة والمرونة وغيرها من شروط الشخصية المبدعة.

وقد حدد "بيرت" الموهوبين بالصفات التالية :

-إنهم أكثر ذكاء من زملائهم.

-قدراتهم المعرفية وغيرها إيجابية وبارزة دوما.

-هناك دائمًا متسعًا من الوقت للقراءة، اللعب، الهوايات المختلفة.

وقد عرض "د. شاكر عبد الحميد" فى كتابه "الاكتشاف وتنمية المواهب" برنامجًا مقترحًا من أجل رعاية الموهوبين (ولا يمنع الاستفادة منه مع الطلاب العاديين) :

١- تحديد المرحلة العمرية وتطبيق أسلوب التعلم بالاكتشاف فى تربية الموهوبية.

٢- تعليم الطلاب وسائل البحث قبل تلقين المعلومة .. مثل تعليمه وسائل الاستقصاء والتساؤل والبحث .. إلخ.

٣- الربط بين الخبرات السابقة واللاحقة عند الطلاب.

٤- تدريب الأطفال على التفكير الاكتشافى.

٥- تعريف الأطفال (حسب أعمارهم) لخطوات التفكير الإبداعى يساعدهم . وهى (الإعداد / الاختبار / الإشراق / التحقق).

٦- تدريب الأطفال على التفسير باستخدام القياس والاستدلال.

٧- الاهتمام باللغة لأننا نفكر باللغة .

٨- هناك رأى بإمكانية الاهتمام النوعى للطفل الموهوب (فى مجال الموسيقى أو الرسم وغيرهما) ولا يغفل هنا المواهب العلمية.

هل الطفل الموهوب مشكلة ؟

منذ زمن بعيد أدرك المربيون أن للأطفال يمتازون بقدرات وميول خاصة، وحاولوا إعداد المناهج الدراسية وطرق التدريس التى تتلاءم وتلك القدرات والميول. ومع ذلك أبرزت المتابعات البحثية أن هناك فئة من هؤلاء الأطفال لهم ملاكات وقدرات خاصة، ربما على شكل موهبة ما أو ذكاء يتفوق به الطفل عن غيره. وعلى الرغم من المجهودات العامة التى تمت فى هذا الشأن .. مازالت قضية الطفل الذكى مطروحة ومثيرة إلى العديد من التساؤلات، وهو ما يعنى ضرورة أن يلقى هؤلاء الأطفال الموهوبون المزيد من الاهتمام والرعاية بعد الكشف عنهم بين المجموع داخل الفصل الدراسى بل وفى داخل المنزل قبل الذهاب إلى المدرسة.

بداية يلزم التعرف على الطفل الموهوب .. من هو الطفل الموهوب؟

هناك عدة معايير للكشف عن الطفل الموهوب، أولها هو التفوق العقلى، وقد كان "لويس م. ترمان" أول من اعتبر التفوق العقلى هو المعيار الأول (حيث تشير اختبارات الذكاء إلى معامل ١٤٠).

أما "القدرة على الابتكار، فهى العامل التالى الذى نقترب بها إلى الطفل الموهوب، وتتمثل تلك القدرة بالأداء الممتاز فى مجال المواهب عمومًا (مع بعض من الإضافات أو بروز بشائر ابتكارية سواء فى الموسيقى أو الرسم أو المواهب الأدبية).

ثم "الصفات الشخصية والعقلية". لكن مجمل الصفات يصعب تواجدها معًا فى طفل واحد. ومع ذلك يمكن الاسترشاد ببعض الصفات وهى:

الصفات العقلية .. (القدرة على التعليل والتعميم وفهم المعانى وتميز العلاقات / أداء بعض الأعمال العقلية شديدة الصعوبة / سرعة التلقى والتعلم / يتسم بحب الاستطلاع / الإنجاز السريع / قوة الملاحظة / يوجد تفاوت بين قدراته المختلفة فى المواد الدراسية / الميل والتحصيل فى المواد المعنوية أعلى من مواد النشاط اليدوى / يبدى الاهتمام بالمستقبل).

الصفات الجسمية .. وهى صفات محتملة (أثقل وزنًا / قوى البنية الجسمية / خال من الاضطرابات النفسية والعصبية / يصل مرحلة النضج مبكرًا).

الجانب الوجدانى والاجتماعى .. (يتفوق فى الصفات المحبوبة للشخصية ومرح/ لديه قدرة على نقد الذات / أقل ميلاً للفخر الذاتى / يبدى اهتمامًا بالنشاط البدنى وأن فضل الألعاب التى تتطلب الجلوس والهدوء / ابتكار الشخصيات الخيالية واللعب معها مع اللعب مع الأكبر سنًا).

كما أن "الميول" تعتبر من وسائل الاسترشاد للكشف عن الطفل الموهوب.. أما وأن تلك الميول مختلفة باختلاف الموهبة مثل ما يرى مع القراءة أو الموسيقى أو الرسم .. إلخ.

عمومًا فميول القراءة تكشف عن نفسها فى الآتى .. (عدم الاهتمام بالمغامرات والقصص المخيفة والأدب العاطفى / الاهتمام بالاطلاع على دوائر المعارف والأطالس) وكثيرًا ما يسعى الموهوبون فى القراءة تعدى مرحلة كتب الأطفال ومجلاتهم / وفى سن الثامنة يقرأون بما يعادل ثلاثة أمثال الوقت الذى يقضيه الطفل العادى فى القراءة – وإلى آخر العمر –) والطريف أن الأطفال الموهوبون لهم ميولهم الخاصة (هوايات خاصة) وأمكن تحديد الشائع منها كالتالى: (جمع الأشياء كالطوابع والأصداف والحشرات .. إلخ / العزف الموسيقى / القراءة).

وعن الاستعدادات الخاصة لدى الأطفال من حيث صلتها بالموهبة. فهذا الموضوع محل نزاع بين علماء النفس. فالبعض يعتبرون تلك المهارات بمثابة الوظائف للذكاء العام موجهة نحو ميادين خاصة. بينما يرى آخرون أن الذكاء العام والقدرات الخاصة عناصر منفصلة بشكل ما. ومع ذلك فكلهم متفقون على الإنتاج الابتكارى فى ميدان خاص يصحبه ذكاء عام عال. وهذه النظرة متضمنة فى تعريف الموهبة كالتالى : "الموهبة هى قدرة ابتكارية ممتازة فى ميدان واحد أو أكثر من ميادين الإنتاج الإنسانى".

إذن فالإنتاج هو أفضل أساس يقوم عليه التعرف على الأطفال الموهوبين فى المجالات الخاصة كالفن والعلوم والميكانيكا والكتابة. وهى تظهر (عادة) مبكرة فى حياة الطفل، وقبل الالتحاق بالمدرسة. عمومًا الطفل الذى يحل مشاكله بطريقة جديدة للوصول إلى المعلومات أو تنظيم ما وكذلك ظاهرة "الزعامة" فى الطفل خلال علاقاته مع الأطفال الآخرين .. من المؤشرات الهامة للطفل الموهوب.

أما العنصر الآخر الهام فى الحديث عن الطفل الموهوب .. هو البيئة التى يعيش فيها، سواء كانت بالمنزل أو المدرسة فيما بعد .. حيث يجب تزويده بالمواد والوقت والتشجيع للكشف عن ميوله الخاصة أو قدراته الكامنة لإبرازها. وهناك قائمة ببعض النشاطات التى تفيد فى الكشف والتعرف على الطفل الموهوب:

١- الإنشاء اللغوى الابتكارى (نثرًا وشعرًا).

٢- الموسيقى الابتكارية والإيقاع الابتكارى.

٣- المسرحيات والتمثيل المبتكر.

٤- لوحات الحائط والصور والرسوم الرمزية الفردية.

٥- التجارب العلمية والاستعراضات.

٦- تركيب النماذج.

٧- التقارير التحريرية والشفوية.

٨- الوقت الحر الذى يستطيع الطفل فيه أن يخترع أو أن يقوم بما يحلو له من نشاط أو تجريب.

٩- مختاراته فى القراءة وتأثره بما يقرأ أو تفسيره له.

١٠- وضع خطة لرحلة أو مقابلة مع زائر.

١١- تلخيص نتائج رحلة مقابلة زائر.

١٢- أعمال اللجان.

١٣- جمع المعلومات وتنظيمها لاستعمالها.

١٤- المساهمة فى ميدان الألعاب أو فى الأندية والمشروعات.

ترى ما هى المشاكل الخاصة بالطفل الموهوب ؟

لقد دلت البحوث التى أجريت على الأطفال الموهوبين أنهم يصادفون صعوبات فى معالجة مواقف الحياة. إذ أن النضج الاجتماعى والوجدانى ليس تابعًا بالضرورة للموهبة، فالذكاء الفائق قد يكون مصدرًا لحساسية تضطرهم لمواجهة مشاكل لا يواجهها الطفل العادى. كما قد يكون المنهج الدراسى سببًا لتلك المشاكل لأن المنهج لا يستثير فضول ومواهب هؤلاء الأطفال .. وهناك هوة بين النمو العقلى الواضح فى مقابل النمو الأقل فى الجانب الجسدى والاجتماعى .. ثم قد ينتج عن تفوقهم بين أقرانهم بعض المواقف العدائية نحوهم. ويمكن إجمالاً أن نحدد بالمحاور السابقة جملة مشاكل الطفل الموهوب.

إلا أنه من جانب آخر يمكن تحديد مشاكل الطفل الموهوب إلى :

المشاكل الناشئة من البيئة .. وكلها ترجع إلى مشاكل عدم التلاؤم أو التكيف التى يصادفها الأطفال الموهوبون، ويمكن تلخيصها كالتالى :

-حقد زملاء الطفل الموهوب لتفوقه المدرسي وثناء الكبار له.

-رغبة بعض المعلمين وأولياء أمور الأطفال الموهوبين في التعبير عن أهمية التحصيل العلمي والاعتراف به وحده دون الموهبة أو النشاط المهاري في الموسيقى والنثر والإلقاء وغير ذلك.

-التفاوت بين النمو العقلي للطفل الموهوب والنمو أو النضج الجسمي والاجتماعي.

-ضغط الأبوين للإسراع بالطفل ودفع نموه وإنتاجه دفعا.

-عدم وعي الأبوين أو المعلمة بتفاوت القدرات بالطفل الموهوب .. ما بين الميول العقلية على حساب النمو الجسمي والاجتماعي.

-إقحام فكرة النمو الاجتماعي للطفل الموهوب حتى يعادل نموه العقلي .. بدلاً من مسايرة عمره الزمني.

-المبالغة في استغلال وقت الفراغ لتنمية الموهبة وبالتالي تقل فرصة النشاطات الحرة والعلاقات الاجتماعية.

-وهناك بعض الجوانب المتعلقة بالطفل الموهوب وبيئته ينتج عنها أسباب أخرى للصراع وربما الإخفاق الذى قد يصيب الطفل الموهوب :

١- نكران الوالدين والأخوات لقدرات الطفل الموهوب الممتازة والحنق عليها.

٢- عدم اكتراث الوالدين بمواهب الطفل وعدم وجود ما يزكيها في البيت.

٣- التفاوت العقلي بين الطفل وأسرته. الأمر الذى يحرمه من تبادل الخبرات المشبعة معها في ظل ما بينه وبينها من ميول وإستمتاعات مشتركة مما يجعله يشعر أنه غريب عنهم.

٤- المستويات العالية والتي ينشدها البيت والمدرسة كلما تفتحت قدرات الطفل.

٥- استغلال مواهب الطفل استغلالا ممقوتا في المنزل أو المدرسة.

٦- غيرة المعلمة من قدرات الطفل التى كثيرًا ما تفوق قدراتها.

٧- الضغط الذى لا مبرر له من جانب المدرسة، مما يخلق للأولاد صعابا فى عقد صلات مع الجنس الآخر (أما البنات فهن أكثر نضجا اجتماعيا عن البنين).

المشاكل الناشئة عن مشاعر الطفل الداخلية ..

غالبًا ما تستتر تحت السلوك الظاهر للطفل الموهوب حاجات ورغبات جوهرية يشترك فيها مع جميع الأطفال ، ومشاعر ناشئة عن رد فعل الآخرين لنموه السابق للأوان، ولديه أيضًا مشاعر خاصة، تكون جزءا من خبرات حياته.

فالدافع الداخلى للإنتاج (مثلاً)، كائن فى غالبية الأفراد الموهوبين وله أنه ليس فيهم جميعا. وغالبا ما تكون القدرة الممتازة فى حد ذاتها باعثًا على الإنتاج الفائق. ولكن مهما تكن طبيعة البواعث فإن قوته لدى بعض الأفراد كافية للتغلب على أشد العقبات. وقد يكون حرمانه من الفرصة لتنمية قدرته وإشباع الباعث للإنتاج فيه مؤديًا إلى يأسه وقنوطه.

وغالبًا ما ينتاب الطفل الموهوب الشعور بالوحدة نظرًا للتفاوت بينه وبين أقرانه الذين من سنه فى الميول والنشاط. وكلما ارتفع عمره العقلى اتسعت الهوة بينه وبينهم وزاد الشعور بالوحدة ، فكثيرًا ما يلجأ إلى الأعمال الفردية!!

وغالبًا ما يشعر الطفل الموهوب أيضًا بشعور نقص يلازمه، بسبب عجزه عن الاشتراك على قدم المساواة فى الألعاب (لنقص الاهتمام بالمهارات المطلوبة) لاهتمامه بالمهارات العقلية .. والآن .. ما زال السؤال قائمًا : هل الطفل الموهوب مشكلة ؟

المتابع لكل المشاكل التى يمكن أن يتعرض لها الطفل الموهوب. يتضح له أن هناك فى الحقيقة مشكلة ما؟! لكن الوعى بالطبيعة الاجتماعية للمشكلة هو الحل الأكيد لها ومفتاح حلها السحرى .. ويكون الحل عن طريق :

-معاونة الطفل فى تحصيل المهارات الاجتماعية والاستقرار الوجدانى (حيث الفشل الأكبر عند الطفل الموهوب هى اقامة العلاقات الاجتماعية الطبيعية). لذا فعلى الوالدين ورجال التربية بالمدرسة الوعى بها والعمل على اشباع حاجات الطفل عن طريق الاستقرار الوجدانى والنمو الاجتماعى .. فتوفير تلك العلاقات الطبيعية فى المجتمع المحيط بالطفل وتنميتها. ويزداد النضج الوجدانى بمعاونته على معرفة انفعالاته وتقبلها والتمتع بعلاقاته مع غيره من الناس واحترام من كانت قدراتهم وميولهم مختلفة عن قدراته وميوله، وكلما استطاع أن يصنع أهدافًا ممكنة التحقق.

ولما كان الأطفال (يودون حقًا أن يكونوا مثل غيرهم من العاديين. فيجب أن يسمح لهم بأن يعيشوا عيشة عادية طبيعية فى كل طور من أطوار نموها. وبذلك يكون النشاط الاجتماعى من الممكنات المهمة فى حياة الطفل الموهوب.

خـاتمة

أعتقد حازما بعدم ضرورة تحديد عروض لموجز أو لنتائج ما تم عرضه سلفا في هذا الكتاب (كما هو المعتاد في خواتم الكتب). ذلك لأن الأفكار المطروحة لا تخاطب المتخصص بقدر اهتمامها بتبسيط وعرض الأفكار العامة والهامة في موضوع شديد الأهمية. ألا وهو كيف نتعامل ونفعل لصغارنا من أجل غد أفضل والاقتراب من معطيات القرن الواحد والعشرين التكنولوجية. للتعامل معها ومواكبة منجزات الحضارة الجديدة في العالم.

يخاطب الكتاب "المثقف" غير المتخصص. وكذا كل القائمين على تربية الطفل .. داخل وخارج البيت. لذلك فكل باب من أبواب الكتاب اطلالة تسعى لأن تكشف عن الجوانب المتداخلة والتي قد تبدو خفية للعامة.

المراجـع

١- جزل (أرنولد) ، الطفـل مـن الخامسـة إلى العاشرة (جزآن)، ترجمـة "عبـد العزيز توفيـق جـاويد"، مراجعة "د. أحمد عبـد السـلام الكردانـي". القـاهرة : البينـة المصرية للكتاب سلسلة "الألف كتاب" عدد ١٦٣ و١٦٤ عام ١٩٩٥م.

٢- نخبة من الخبراء في تربية الطفل، هؤلاء أطفالكم، ترجمة : عفـاف محمـد فـؤاد، مراجعة "فريد عبد الرحمن". القاهرة : دار الكرْنك للنشر، سلسلة "الألف كتـاب" عدد (٢٦١) عام ١٩٦١م.

٣- توم (دجلاس) ، مشكلات الأطفال اليوميـة، ترجمـة : "إسحق رمزي". القاهرة : دار المعارف عام ١٩٥٣م.

٤- شيفل (ماريـان)، الطفـل الموهـوب، ترجمـة "ريـاض عسـكر"، مراجعـة "أحمـد زكي". القاهرة : مكتبة الشرق بالفجالـة، سلسـلة "الألـف كتـاب" عـدد (١٧٩) عـام ١٩٥٨م.

٥- فيذرستون (و . ب)، الطفـل البطـيء التعلم، ترجمة "مصطفى فهمي"، مراجعة "محمد السيد روحه". القاهرة : دار النهضـة العربيـة (طبعـة خاصـة وغير مخصصة للبيع)، عام ١٩٦٣م.

٦- أبـو حطـب (فـؤاد)، القـدرات العقليـة، القـاهرة : مكتبـة الأنجلـو المصريـة، عـام ١٩٨٤م .. (الكتاب حائز جائزة الدولة).

٧- المعتوق (أحمد محمد)، الحصيلة اللغويـة (أهميتها، مصادرهـا، وسـائل تنميتها). الكويت. سلسلة "عالم المعرفة". العدد (٢١٢) عام ١٩٩٦م.

٨- قاسم (محمـود)، الخيـال العلمـي أدب القرن العشرين. القـاهرة: هيئـة الكتـاب المصرية. عام ١٩٩٣م.

٩- إبراهيم (وفاء)، الوعى الجمالى عند الطفل. القاهرة : الهيئة المصرية للكتاب. (ضمن مشروع مكتبة الأسرة عام ١٩٩٧م).

١٠- رجب (مصطفى)، أطفالنا .. من أين نبدأ؟. القاهرة : الهيئة العامة لقصور الثقافة، مكتبة الشباب عدد (٢٩).

١١- يوسف (عبد التواب)، فصول عن ثقافة الطفل. القاهرة : الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة "مكتبة الشباب" عدد (٤٣) عام ١٩٩٦م.

١٢- عيسى (حسن أحمد)، الإبداع فى الفن والعلم. الكويت: سلسلة عالم المعرفة عدد ديسمبر / كانون الأول ١٩٧٩م.

١٣- حنورة (مصرى عبد الحميد)، الأسس النفسية للإبداع الفنى فى الرواية. القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب ١٩٧٩م.

١٤- حسن (نبيل)، التليفزيون وانحراف الشباب . القاهرة : كتاب الإذاعة والتليفزيون عدد (٣٧) عام ١٩٧٥م.

١٥- على (سامية أحمد)، الفكاهة التليفزيونية وجمهور الأطفال. القاهرة : الهيئة العامة لقصور الثقافة، مكتبة الشباب عدد (٣٠) عام ١٩٩٤م.

١٦- الفريح (سهام عبد الوهاب)، الأنماط الشائعة لأدوار الرجل والمرأة فى الكتب المدرسية وأدب الأطفال. الكويت : حوليات كلية الآداب، الحولية الرابعة عشرة، عام ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

١٧- العزاوى (السيد) وبرادة (هدى)، قائمة الكلمات الشائعة فى كتب الأطفال. القاهرة : مطبوعات مركز تنمية الكتاب العربى .. الهيئة المصرية للكتاب عام ١٩٧٦م.

١٨- الصورى (محمد مبارك)، مسرح الطفل وأثره فى تكوين القيم والاتجاهات. الكويت، الحوليات كلية الآداب، الحولية الثامنة عشرة عام ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

١٩- درويش (أحمد فؤاد)، سينما الأطفال، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة عام ١٩٧٩م.

٢٠- العيسوى (عبد الرحمن محمد)، تنمية الذكاء الإنسانى ، القاهرة : الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة "الفلسفة والعلم" عدد (٤) عام ١٩٩٧م.

٢١- سليمان (شاكر عبد الحميد)، الاكتشاف وتنمية المواهب، القاهرة : الهيئة المصرية لقصور الثقافة، سلسلة مكتبة الشباب عدد (٣٣) .. عام ١٩٩٥م.

٢٢- شريف (نهاد)، تأملات فى العلم والثقافة، القاهرة : الهيئة المصرية لقصور الثقافة، مكتبة الشباب عدد (٤٧)، عام ١٩٩٦م.

٢٣- محمود (زكى نجيب)، ثقافتنا فى مواجهة العصر، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مطبوعات مكتبة الأسرة ١٩٩٧م.

٢٤- زكريا (فؤاد)، التفكير العلمى، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، مطبوعات "مكتبة الأسرة" ١٩٩٦م.

٢٥- الجمل (عبد الباسط)، أسرار علم الجينات، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، مطبوعات مكتبة الأسرة ١٩٩٧م.

٢٦- الشارونى (يعقوب)، تنمية عادة القراءة عند الطفل، القاهرة : دار المعارف عام ١٩٨٤م.

تعريف الكاتب

-عضو اتحاد الكتاب.

-عضو نادي القصة.

الإصدارات :

مجموعة قصص "السفر" – دار الثقافة الجديدة ١٩٨٤م.

مجموعة قصص "أوراق مقاتل قديم" – هيئة الكتاب ١٩٨٨م.

رواية "أيام يوسف المنسي" – نصوص ٩٠ عام ١٩٩٠م.

مجموعة قصص "المصيدة" – هيئة الكتاب ١٩٩٢م.

مجموعة قصص "لحظات في زمن التيه" – هيئة قصور الثقافة ١٩٩٣م.

رواية "السمان يهاجر شرقا" – هيئة الكتاب ١٩٩٥م.

دراسة "الحرب : الفكرة – التجربة – الإبداع" – هيئة الكتاب ١٩٩٥م.

مجموعة قصص "عودة العجوز إلى البحر" – دار الوفاء ٢٠٠٠م.

رواية "العتبات الضيقة" – هيئة الكتاب ٢٠٠١ .

كتاب "المقاومة والأدب" – هيئة قصور الثقافة ٢٠٠١ م.

إصدارات في أدب الطفل :

قصص "سامح يرسم الهواء" – دار المعارف

قصص "الأسد هس والفيل بص" – دار المعارف

قصص "حكايات القمر" – دار الهلال

قصص "المباراة المثيرة" – دار المعارف

"الأمومة في عالم الحيوان" – دار المعارف

رواية "الأشبال على الأرض الأبطال" – كتاب قطر الندى – هيئة قصور الثقافة.

قصص "روبوت سعيد جدًا" – دار الهلال "كتاب أولاد وبنات"

النشر المشترك :

عدد خاص عن سلسلة "أدب الحرب" - هيئة الكتاب ١٩٩٥ م.

كتاب المقهى الثقافى – هيئة الكتاب ١٩٩٧م .

كتاب الجمهورية – دار التحرير ٢٠٠٠ م.

تحت الطبع :

-رواية "الروح وما شجاها"

-دراسة "المقاومة فى الأدب العربى"

-دراسة "قرن جديد .. وطفل جديد"

-مجموعة قصص (أنين وأشياء أخرى)

-"لغز الكائنات الفريدة" – أطفال – دار المعارف

-رواية قصيرة (نوفيلا) "غرفة ضيقة بلا جدران"

-دراسة "المقاومة والحرب فى الرواية العربية"

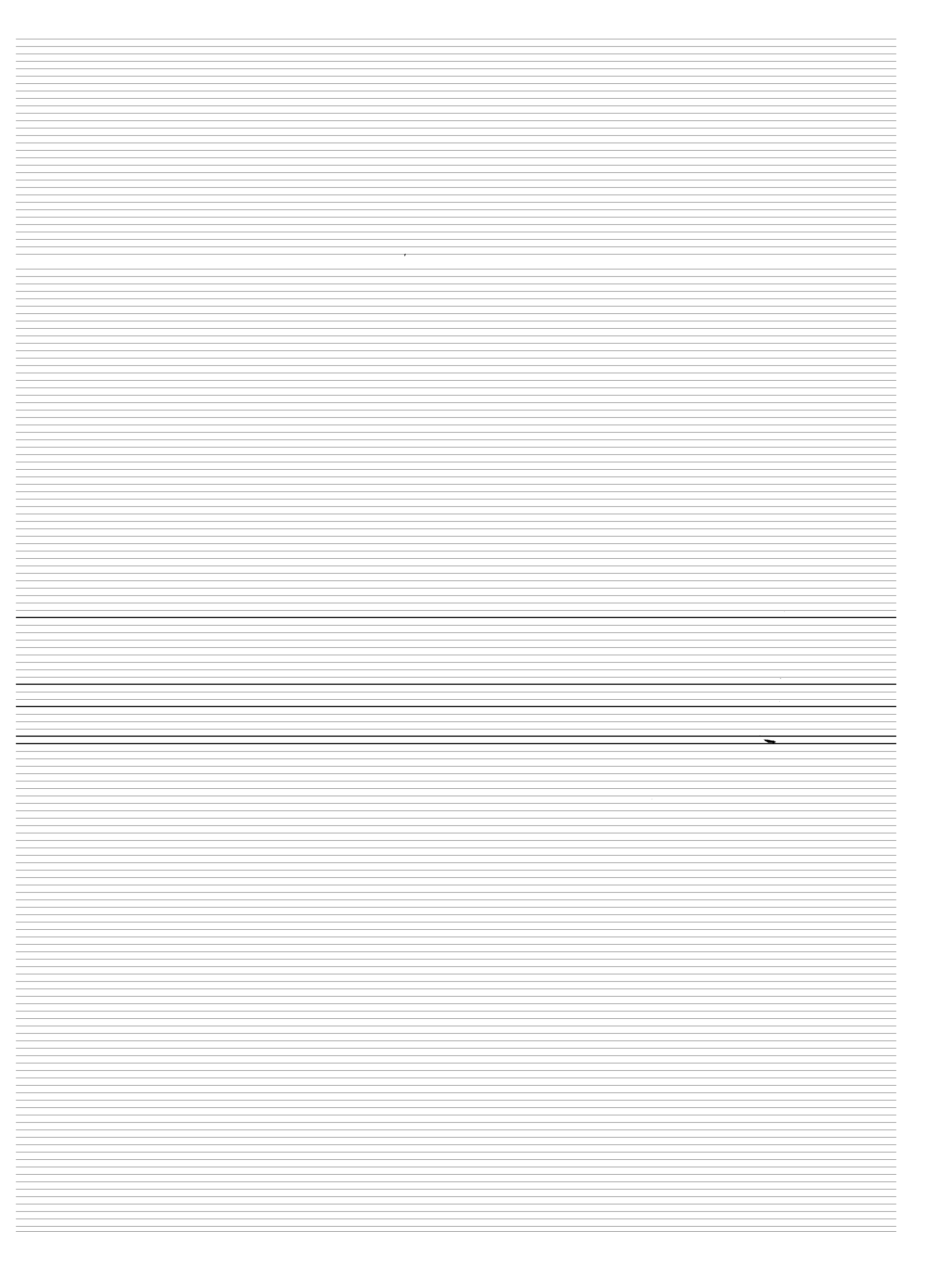
التأليف فى مجال الدراما :

-تمثيلية "نور الظلام" شبكة إذاعة البرنامج الثقافى عام ٢٠٠٢م.

-تمثيلية عن قصة قصيرة بمجموعة "أوراق مقاتل قديم" بإذاعة الإسكندرية عام ٢٠٠٢م.

-مسلسل "ساعة الصفر" شبكة إذاعة البرنامج الثقافى عام ٢٠٠٣م.

الفهـرس



تم بحمــــد الله

رقم الإيداع: ١٩٤٣٥/ ٢٠٠٣
الترقيم الدولى: 1 - 424 - 327 - 977

مـع تحـيات
دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر
تليفاكس: ٥٢٧٤٤٣٨ – الإسكندرية
dwdpress@yahoo.com
dwdpress@biznas.com
http:/ www.dwdpress.com